جامعة ابن خلدون تيارت/الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر
الموسومة بـ:

انتفاضة منطقة الشاوية بالمغرب الأقصى 1907م

" تحليل وأبعاد"

من إعداد الطالبتين:
جاب الله إيمان
بن عيسى فتيحة

الأستاذ المشرف:
أ. د. دوبالي خديجة

لجنة المناقشة		
د. حجاج نجاة	جامعة تيارت	رئيسا
أ. د. وبالي خديجة	جامعة تيارت	مشرفا ومقررا
أ. د. كركب عبد الحق	جامعة تيارت	مناقشا

السنة الجامعية: (1445-1446هـ / 2024-2025م)

شكر وعرفان

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]

وقال عزّ من قائل: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88]

نتقدّم نحن الطالبتين بخالص عبارات الشكر والتقدير لكل من كان له دور في إنجاز هذا العمل المتواضع.

وقبل كل شيء، نحمد الله تعالى ونشكره على ما منحنا من قوة وصبر وتوفيق، وعلى نعمة العلم والسعي في طلبه.

كما نتوجّه بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذتنا المشرفة

"دوبالي خديجة"

وإلى أعضاء اللجنة المناقشة.

ولا ننسى أن نعبّر عن امتناننا العميق لأساتذتنا الكرام الذين رافقونا خلال مشوارنا الدراسي، وفتحوا لنا آفاق المعرفة.

كما نخص بالشكر عائلاتنا الكريمة، وخاصة والدينا الأعزاء، لما قدّموه لنا من دعم متواصل ودعاء مخلص، فكانوا السند الحقيقي في كل مراحل هذا العمل.

ولكل من قدّم لنا يد العون، بكلمة طيبة، أو توجيه صادق، أو دعاء في ظهر الغيب، نتقدّم له بجزيل الشكر والامتنان.

الإهداء

بكل فخر وامتنان، أهدي تخرجي هذا:
إلى من كان لهم الفضل بعد الله، إلى من زرعوا في قلبي حب العلم وغمروني بالحنان والدعم دون قيد أو شرط
إلى أمي وأبي، نبض قلبي وسندي في هذه الحياة
إلى إخوتي وعائلتي الكريمة، أحياءً كانوا أو تحت التراب،
إلى من يسكنون قلبي حضورًا أو ذكرى،
لكم جميعًا أهدي ثمرة تعبي،
لأنكم كنتم دائمًا السبب في قوتي،
بدعائكم، بحبكم، أو حتى بأثر لا يزول برحيل.
إلى كل أستاذ ومعلم كان له أثر في مساري الدراسي
أخص بالذكر أول من احتضن حلمي، معلمتي الأولى **"بروبة ذهبية"**، التي كانت النور الأول في طريقي.
إلى رفيقات دربي،
من شاركنني لحظات التعب، الضحك، واليأس ثم الأمل،
شكراً لكنّ من القلب على كل الذكريات .
وإلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل،
لكم جميعًا أرفع قبعة الاحترام والامتنان،
فأنتم جزء لا يتجزأ من هذا الإنجاز.

"فتيحة"

الإهداء

قال الله تعالى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ التوبة. 105.

الحمد لله حبا وشكرا وامتنانا الذي بفضله
انظر اليوم إلى حلم طال انتظاره وأصبح
واقعا افتخر به
إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة
نبي الرحمة ونور العالمين
إلى الذي ابدأ به كل أعمالي ولأجل عينيه
المتعبة أنا هنا الذي لم يتهاون في توفير
سبل الخير والسعادة لنا داعمي بلا حدود من
أعطاني دون مقابل الذي زين اسمي بأجمل
الألقاب

"أبي الغالي"

إلى مقدمه البداية الجميلة من جعل الجنة
تحت أقدامها سهلت لي الشدائد بالدعاء من
احتضنني قلبها قبل يديها

"أمي الغالية"

إلا من كنت لهم فراشه كانوا أجنحتي اسود
البيت إخوتي وريحانه قلب أختي واعز الناس
على قلبي صغار البيت
وإخواننا في فلسطين نصركم الله وحماكم.

"إيمان"

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات

المختصرات بالعربية	
بد م	بدون مؤلف
تح	تحقيق
تر	الترجمة
تع	تعليق
ج	الجزء
الخ	إلى أخره
ص	صفحة
ط	طبعة
ع	عدد
م	ميلادي
مج	مجلد
هـ	هجري
المختصرات بالفرنسية	
Page	P

مقدّمة

مقدمة

شهد المغرب الأقصى مع أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مرحلة حرجة من تاريخه، حيث تميزت بتزايد الضغوط الاستعمارية وتفاقم الأزمات الداخلية. فقد أصبحت البلاد ساحةً للتنافس بين القوى الإمبريالية الأوروبية خصوصاً فرنسا وإسبانيا، اللتين سعتا إلى توسيع نفوذهما في المغرب، مستغلين ضعف السلطة المركزية وتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية. وقد شكل هذا التغلغل الأجنبي تهديداً مباشراً لسيادة المغرب واستقلاله، مما أثار ردود فعل شعبية قوية في مختلف المناطق. في ظل هذا السياق المتوتر، ظهرت العديد من حركات المقاومة، ومن بينها انتفاضة الشاوية عام 1907م.

جاءت هذه الانتفاضة كرد فعل شعبي غاضب على التوسع الفرنسي في منطقة الشاوية، خاصة بعد شروع الفرنسيين في بناء ميناء الدار البيضاء وتوسيع شبكة السكك الحديدية دون موافقة السكان المحليين أو احترام تقاليدهم. وقد شكلت –الانتفاضة– واحدة من أوائل صور المقاومة المنظمة ضد التوسع الفرنسي، حيث عبر سكان الشاوية من خلالها عن رفضهم القاطع لأي وجود أجنبي يمس بسيادتهم أو يحتل أراضيهم.

انطلاقا مما ذكر أعلاه جاء موضوع بحثنا هذا الموسوم بـ" انتفاضة منطقة الشاوية بالمغرب 1907م "التحليل والأبعاد"، ليعرف بالمسيرة النضالية لساكنة الشاوية والعراقيل التي حالت دون وضع حد للتوسع الفرنسي في المنطقة، مبني على محاولة تقييم المسار التاريخي لها – الانتفاضة– في أبعادها السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية بوصفها تاريخ مواجهة بين انتماءين حضاريين مختلفين، في روحها العامة، وتاريخ صراعهما في بعض لحظاتها وتفصيلاتها.

تكمن الأهمية التاريخية لهذا البحث كونه يقف على قضيتين هامتين، أولاهما: تُعتبر انتفاضة الشاوية محطة مهمة لفهم طبيعة التفاعلات بين القوى الاستعمارية والشعب المغربي عموما وساكنة الشاوية على وجه الخصوص خلال الفترة قيد الدراسة. أما القضية الثانية

فحاولنا من خلالها تسليط الضوء على مظاهر الرفض القاطع لساكنة الشاوية للتدخل الفرنسي، حيث أبان – الرفض– عن الوعي السياسي والروح الوطنية التي تمتع بها المغاربة، مما جعلهم يدركون في وقت مبكر خطورة المرحلة وضرورة الاستعداد اللازم للتضحية دفاعاً عن كرامتهم واستقلالهم.

وبهذا تحظى دراسة انتفاضة الشاوية عام 1907 بأهمية خاصة، كونها تمثل أول رد فعل مجتمعي مسلح ضد التدخل العسكري الفرنسي في المغرب، لاسيما بعد قصف واحتلال مدينة الدار البيضاء. وبهذا سيسهم هذا الموضوع ولو بشكل بسيط في توضيح الأوضاع الداخلية المتأزمة التي مهدت للتغلغل الاستعماري، كما سيبرز وعي القبائل المغربية بخطورة الأطماع الأجنبية. ويعد التركيز على منطقة الشاوية فرصة لتسليط الضوء على مساهمتها في مقاومة الاستعمار وتوسعه في المنطقة.

انحصر الإطار الزماني للدراسة ما بين سنة 1907م ويستمر إلى غاية سنة 1908م، فهذه المرحلة التاريخية تعتبر من بين أهم مراحل الكفاح الثوري للمغاربة عموما وساكنة الشاوية بشكل خاص، حيث كانت انتفاضة هؤلاء أكثر تنظيما وشمولا، كما شهدت تلاحما ونشاطا مكثفا بين الزعامات المحلية والشعب الذين رفضوا التنازل عن مقومات شخصيتهم والانفصال عن حضارتهم وتاريخهم، فكانت بمثابة الخطوة الأولى التي دعمت عمق النضال ضد المحتل الفرنسي.

استقطبت دراسة موضوعنا هذا اهتمام مجموعة من الباحثين الذين أنجزوا أعمالا أكاديمية عن مقاومة الشعب المغربي للتوسع الفرنسي في بلاده، حيث قمنا بعملية قياس على موضوعنا فوجدنا من بينها:

الدراسة الأولى: كانت لعلال الخديمي لاسيما كتابه الموسوم ب: "التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب 1894–1910 حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية" الذي يعد من أبرز الأعمال

التي وثقت انتفاضة الشاوية في سياقها العام ،وساهم في تقديم تحليل معمق لتطورات الأحداث وأثر التدخل الفرنسي على المنطقة.

أما الدراسة الثانية: لأحمد زيادي بعنوان "انتفاضة الشاوية سنة 1907: دراسة وثائق تاريخية وملاحق أدبية " والتي تعد مرجعا أساسيا في هذا المجال.وثق بدقة مراحل الانتفاضة مستندا إلى وثائق أرشيفية نادرة وبين من خلالها تفاعل المخزن والقبائل مع التغلغل الاستعماري الفرنسي.

تعددت الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع، ويمكن تصنيفها إلى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية. ومن بين الأسباب الذاتية، نذكر الرغبة في تقديم إسهام علمي أكاديمي يعزز مكتبة الجامعة، وخاصة في ظل قلة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع على مستواها. أيضا توافق الموضوع قيد الدراسة مع تخصصنا الأكاديمي، حيث يتعلق بتاريخ المغرب المعاصر، مما سيوفر لنا قاعدة معرفة أولية تسهم في تسهيل عملية البحث. كما يُعد موضوع الانتفاضة مدخلًا لفهم تشكل الهوية الوطنية قبل الاستعمار ووعي الشعب المغربي المبكر بأهمية التصدي للتوسع الأجنبي.

أما عن الأسباب الموضوعية فمن أبرزها نذكر الأهمية التاريخية لمسار المقاومة المغربية، حيث تعَدُّ أحد أوائل ردود الفعل الشعبية المنظمة ضد التدخل الاستعماري الفرنسي لذا، تُعتبر هذه الانتفاضة محطة بارزة تستحق البحث والدراسة. كما أن دراسة وتتبع مختلف التطورات التاريخية للانتفاضة سيمكننا من فهم كيفية تفاعل القبائل المغربية، مثل قبائل الشاوية، مع التدخلات الأجنبية، خصوصاً في ظل تراجع سيادة السلطة المخزنية وضعف البنية السياسية آنذاك.

إن كل بحث يحاول من خلاله الباحث عموما والطالب بشكل خاص التأسيس لفكرة ينطلق من خلالها حتى تتبلور لتصبح دراسة قائمة بذاتها، فكان لابد له أيضا أن ينطلق من إشكالية تكون الأساس للبحث بحيث اعتمدنا في معالجة موضوعنا هذا على إشكالية عامة

كانت المحور الأساس لموضوع الدراسة تمثلت فيما يلي: كيف أسهمت انتفاضة الشاوية عام 1907 في تسليط الضوء على ملامح الرفض الشعبي المبكر للتدخل الاستعماري الفرنسي في المغرب؟

تفرعت عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية لعل من أهمها ما يلي: ما هو السياق العام الذي سبق اندلاع انتفاضة الشاوية سنة 1907؟ وما هي الأسباب المباشرة التي دفعت سكان الشاوية إلى الانتفاض ضد التوسع الفرنسي؟ وفيما تتمثل أهم مراحل ومسارات الانتفاضة، وما طبيعة الأساليب التي استخدمها المنتفضون؟ كيف تفاعلت السلطة المخزنية مع هذه الانتفاضة؟ وهل كان موقفها داعماً أو محايداً؟ وكيف ردت فرنسا عليها؟ وما هي التداعيات السياسية والعسكرية التي خلفتها هذه الانتفاضة؟ وما هي المكانة التي تحتلها هذه الأخيرة في مسار تطور المقاومة المغربية ضد الاستعمار الفرنسي؟

وللإجابة على الإشكالية المطروحة أعلاه وما تفرع عنها من تساؤلات كان لا بد لنا من إتباع منهج علمي، فهذا الأخير يفرض على الباحث ضرورة أن يكون موضوعيا في دراسته – بمعنى تصوير الواقع ووصفه كما يوجد بالفعل؛ فالموضوعية تقتضي منه تنحية كل اعتبار انفعالي أو عاطفي أو قيمي، وذلك من أجل الفهم العلمي لأسباب وجود ظاهرة معينة وعلاقتها بمحيطها.

ومن بين أهم المناهج التي اعتمدنا عليها نستعرض المنهج التاريخي المتبع في دراسة الأحداث المرتبطة بانتفاضة الشاوية عام 1907، من خلال تحليل السياقات العامة والوقائع الميدانية مع ربطها بالخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي أسهمت في نشوبها.

كما اعتمدنا على المنهج التحليلي لتفكيك نصوص المصادر والمراجع التاريخية المتنوعة، بهدف فهم المواقف المختلفة للمخزن والقبائل والقوى الأجنبية، وتحليل الأبعاد وردود الأفعال المترتبة على تلك الانتفاضة.

أما المنهج الوصفي فقد ساعدنا في تقديم صورة دقيقة للواقع الاجتماعي والاقتصادي في منطقة الشاوية قبل وأثناء الانتفاضة، وذلك من خلال وصف الوضع العام للمنطقة وتطور الأحداث بشكل متسلسل وموضوعي.

من أجل إنجاز هذه الدراسة الأكاديمية اتبعنا خطة عمل قسمت إلى مدخل وثلاث فصول، ثم خاتمة ضمت أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال تتبع المسار التاريخي للانتفاضة. كما ألحقنا هذه الدراسة بمجموعة من الملاحق اتصلت اتصالا مباشرا بالموضوع قيد الدراسة.

كانت فاتحة بحثنا مدخلا عنوناه بـ: "الإطار الجغرافي والبشري لبلاد الشاوية"، من خلاله تم استعراض الحدود الجغرافية والخصائص الطبيعية المميزة للمنطقة. كما تضمن أيضًا دراسة أصل التسمية وتقديم لمحة تاريخية عن السكان الذين استقروا بها. وقد ساهمت المادة التاريخية التي احتواها هذا المدخل في تعزيز الفهم للسياق الجغرافي والبشري الذي نشأت فيه الانتفاضة.

ثم يأتي الفصل الأول الموسوم بـ:" تحليل ظروف وأسباب انتفاضة الشاوية"، ضم ثلاث مباحث. أما المبحث الأول الذي جاء بعنوان "خطورة الامتيازات الأجنبية على السيادة المغربية" فسلطنا الضوء من خلاله على تأثير الحماية القنصلية والمخالطات الأجنبية على منطقه الشاوية، كما ناقشنا في جزئياته الأخرى إسهامات المعاهدات التي وقعها المغرب مع الدول الأوروبية في تقوية التدخل الأجنبي وإضعاف السيادة الوطنية.

جاء المبحث الثاني من الفصل الأول الموسوم بـ " قرارات مؤتمر الجزيرة الخضراء وانعكاساتها على الوضع العام بالمنطقة" للتعريف بالظروف التي أدت إلى انعقاد المؤتمر واستعراض قراراته موضحين كيف زادت من توتر الأوضاع في المغرب وعمقت التدخل الأوروبي خاصة في المناطق الحيوية كالشاوية. أما المبحث الثالث المعنون بـ: "المستجدات الاقتصادية والسياسية بالمغرب وانعكاساتها على المغاربة عموما وساكنة الشاوية بشكل خاص" فركزنا من خلاله على ثلاثة عناصر، كانت بدايتها تسليط الضوء على تدهور

الأوضاع المعيشة في المنطقة، ثم اندلاع الثورات، وكثرة الاغتيالات وصولا إلى احتلال مدينة الدار البيضاء، كل هذه المستجدات الخطيرة أسرعت في تفجير الغضب الشعبي في الشاوية.

في حين قسمنا الفصل الثاني المعنون بـ "المقاومة المسلحة في بلاد الشاوية ضد التوسع الفرنسي(1907-1908م)" إلى مبحثين، الأول منهما كان بعنوان "انتفاضة قبائل الشاوية في عهد الجنرال درود Drod عام 1907م"، من خلاله حاولنا تسليط الضوء على بداية المقاومة المسلحة في المنطقة قيد الدراسة، حيث بادرت قبائل الشاوية إلى تنظيم صفوفها والدعوة إلى التعبئة الشعبية لمواجهة الاحتلال الفرنسي، لتتصاعد الأحداث خلال صيف 1907م بعد قصف مدينه الدار البيضاء مما أدى إلى رد فعل عنيف من القبائل عبرت من خلاله عن رفضها للتدخل الأجنبي ومحاولات السيطرة على أراضيها.

ثم المبحث الثاني الموسوم بـ:"تطور الانتفاضة في عهد الجنرال داماد " Damad عام 1908م" الذي تناول المرحلة التالية من المقاومة بعد تولي الجنرال داماد القيادة العسكرية، فقد سعى إلى إجهاض العمل المسلح عبر تطبيقه لإستراتيجية هجومية ليعدل خططه لاحقا لمواجهة صمود المقاومة. كما رصد هذا المبحث تطور الأحداث في مارس 1908م، حيث سعت السلطات الفرنسية جاهدة على تثبيت احتلالها بينما دارت معارك قوية مثل معارك الغابة التي أثبتت استمرار روح المقاومة لدى سكان الشاوية.

أما الفصل الثالث والأخير المعنون بـ: "المواقف المختلفة من انتفاضة الشاوية وأبعادها" فقد ضم مبحثين. جاء المبحث الأول المعنون بـ:" ردود الفعل المختلفة من الانتفاضة" ليبين تنوع المواقف اتجاه انتفاضة الشاوية على المستويين الداخلي والخارجي. فأما داخليا انقسمت ردود الفعل بين تخاذل المخزن وسخط وغضب ساكنة الشاوية ومن ساندهم. في حين تطرقنا في ردود الفعل الخارجية إلى نموذجين. أما الأول فسلطنا الضوء من خلاله على مواجهة فرنسا للانتفاضة بالقمع والاضطهاد وذلك لتأمين مصالحها. في حين تمثل النموذج الثاني في موقف ألمانيا من السياسة التوسعية الفرنسية.

تناولنا في المبحث الثاني من هذا الفصل الذي جاء تحت عنوان: "النتائج المترتبة عن الانتفاضة" فقد أدت هذه الأخيرة على المدى القريب إلى احتدام الصراع بين السلطان عبد العزيز وعبد الحفيظ لينتهي الأمر بينهما بوصول عبد الحفيظ إلى الحكم. أما على المدى البعيد فقد مهدت أحداث الانتفاضة الطريق لفرنسا لتفرض الحماية سنة 1912م. كما ألهمت –الانتفاضة– حماس مناطق أخرى لإعلان رفضها القاطع للتوسع الفرنسي في المغرب من أبرزها المقاومة التي قادها الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي.

بعد تتبع المسار التاريخي لانتفاضة الشاوية ومختلف ردود الفعل الداخلية والخارجية جاءت الخاتمة لتعرض أهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها. كما دعمنا دراستنا هذه بمجموعة من الملاحق اتصلت اتصالا مباشرا بالموضوع قيد الدراسة.

يقتضي منا التأسيس التاريخي لهذه الخطة الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع والتي ستساعدنا في وضع تصورات حول النشاط السياسي والعسكري لساكنة الشاوية بشكل خاص وللمغاربة عموما ومن بين أهمها نذكر ما يلي:

"ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن جاورهم من ذوي السلطان أكبر" لعبد الرحمن بن خلدون، بالإضافة إلى تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط لابن الخطيب حيث تم الاعتماد عليهما في التعريف بالحدود الجغرافية لبلاد الشاوية منذ العصور القديمة. كما اعتمدنا على كتاب "وصف إفريقيا" لحسن الوزان، في جزئه الأول الذي قدم لنا خريطة توضح مناطق توزيع قبائل الشاوية.

بالإضافة إلى ذلك، تم الاستفادة من الكتاب المترجم لفريدريك وايسجرير، المعنون بـ: "على عتبة المغرب الحديث"، الذي ساعدنا في استعراض سير أحداث المعارك. في السياق نفسه نشير إلى كتاب عبد الرحمن بن زيدان بعنوان 'الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة"، الذي ساهم في ترجمة عدد من الشخصيات المغربية. ولا يمكننا أن نغفل عن الدور الكبير الذي ساهم به الباحث علال الخديمي في إثراء العديد من جزئيات هذا الدراسة

خصوصاً كتابه الموسم بـ: "التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب 1894 – 1910" والذي تناول فيه حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية.

لا يمكننا تجاهل الصعوبات والمعوقات التي واجهتنا أثناء انجازنا لهذا الموضوع، من أهمها نذكر عدم القدرة على تحصيل بعض الدراسات التاريخية المتعلقة بالبحث قيد الدراسة إذ لم يكن من السهل الوصول إلى بعض الكتب المغربية، حيث أن العديد من تلك التي تناولت هذا الموضوع أو بعض جوانبه كانت صادرة عن دور نشر مغربية. وقد واجهنا كجزائريين تحديات كبيرة في الوصول إلى هذه المصادر بسبب غياب التبادل المنتظم للكتب بين البلدين وندرة توفرها في المكتبات الجزائرية ككتاب الدار البيضاء وقبائل الشاوية في جزئه الثاني الذي ترجمة نور الدين فردي، وكتاب تاريخ الدار البيضاء من نشأة إلى 1914م لأندريه أدم. كما لا يفوتنا في السياق نفسه أن نذكر صعوبة الإحاطة بكل جوانب الموضوع نظرا لعدم قدرتنا على التنقل إلى مختلف المكتبات المتواجدة على مستوى ربوع الوطن.

وإضافة إلى ما سبق ذكره فقد واجهتنا تحديات في تحقيق التوازن المنهجي بين مباحث الفصول الثلاثة، حيث لاحظنا أن المبحث الثاني من الفصل الأول جاء أقل تفصيلا وثراء مقارنة بالمباحث الأخرى، وذلك نتيجة محدودية المادة العلمية المتوفرة حول محوره الخاص، وعلى العكس من ذلك فإن المبحث الثاني من الفصل الثالث خاصة العنصر الذي يتحدث عن مقاومة محمد بن عبد الكريم الخطابي جاء أكثر توسعًا وعمقا، وهو ما يعزى إلى وفرة المصادر المتاحة لنا بشأنه وسهولة تحليلها نسبيا، هذا التفاوت في التعمق لا يعكس تفاوتا في الأهمية العلمية للمباحث، بل يفسر بالسياق البحثي وما واجهنا من صعوبات ظرفية خلال عملية الجمع والتحليل، بالإضافة لهذه الصعوبات نجد موضوع مقاومة محمد بن عبد الكريم الخطابي، رغم ابتعاده عن الفترة الزمنية المحددة للبحث أصر على فرض نفسه نظرا لأهميته البالغة في تاريخ المغرب الأقصى خاصة والعالم العربي عامة، لما تميزت به من مواجهة مباشرة ضد القوتين الاستعماريتين كبيرتين هما فرنسا واسبانيا.

مدخل: الإطار الجغرافي والبشري لبلاد الشاوية

المبحث الأول: جغرافية بلاد الشاوية

أولا: الموقع الجغرافي للمنطقة

ثانيا: المميزات الجغرافية

المبحث الثاني: التكوين البشري لبلاد الشاوية

أولا: أصل التسمية والتركيبة البشرية للمنطقة

ثانيا: لمحة موجزة عن تاريخ منطقة الشاوية

المبحث الأول: جغرافية بلاد الشاوية

تعد منطقة الشاوية واحدة من أبرز المناطق الجغرافية في المغرب الأقصى، حيث تتميز بموقعها الحيوي من الناحيتين الاقتصادية والإستراتيجية، تتضح حدودها الطبيعية الواضحة وتتنوع تضاريسها بما يسهم في تشكيل معالمها الفريدة. إن فهم الحدود الجغرافية لهذه المنطقة لا يقتصر فقط على تحديد امتداداتها المكانية بل يشمل أيضا تحليل خصائصها الطبيعة التي تجعلها متميزة كخصوبة التربة والسهول الواسعة المنبسطة بالإضافة إلى المناخ الذي أوجد بيئة ملائمة للنشاطين الرعوي والزراعي بشكل مكثف.

أولا: الموقع الجغرافي للمنطقة

تعتبر منطقة الشاوية موقعا تاريخيا متنوع الحدود، حيث تحددها الدراسات المختلفة. فتقع منطقة الشاوية ما بين قطبي الدار البيضاء ومراكش يحدها المحيط الأطلسي من الغرب وشرقا مكناس وتافيلالت، ومن الشمال الغربي جهة الدار البيضاء الكبرى، ومن الشمال الشرقي جهة الرباط، سلا، زمور، زعير، ومن الجنوب الغربي جهة دكالة، عبده ومن الجنوب الشرقي جهة تادلة، أزيلال.[1]

ويذكر حسن الوزان: أن تامسنا إقليم تابع لمملكة فاس يبتدئ عند أم الربيع وينتهي إلى أبي الرقراق[2] شرقا، والأطلس جنوبا وشواطئ البحر المحيط شمالا.[3]

أما ابن خلدون فيحدد إقليم تامسنا: بأنه "إقليم مغربي قديم كان يمتد من نهر أبي الرقراق إلى وادي أم الربيع[4]".[5]

---

[1] (د.م)، جهة الشاوية ورديغة، المندوبية السامية للتخطيط، المديرية الجهوية لسلطات، المملكة المغربية، 2009، ص 04.

[2] **أبي الرقراق:** ينبع من منطقة زيان ويصب بين الرباط وسلا. ينظر: عبد الوهاب ابن منصور، قبائل المغرب، ج1، ص69.

[3] حسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، ص194.

[4] **أم الربيع:** هو أكبر أنهار المغرب وأكثرها انتظاما. ينظر: عبد الوهاب ابن منصور. ينظر: المرجع نفسه، ص 69.

[5] عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب البربر ومن جاورهم من ذوي السلطان الأكبر (7321–808هـ)، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1431هـ/2000م، ص29.

في حين ذكر ابن الخطيب حدودها تشتمل على الأراضي الممتدة على ساحل المحيط الأطلسي من الرباط إلى ما وراء الدار البيضاء حتى مصب وادي أم الربيع، وهي الآن تكسوها المزارع والعمارات، بينما كانت في الماضي أرضا من سدرة وعليق ترعى فيها الأغنام.[1]

[1] لسان الدين ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تح: أحمد المختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ص180.

ثانيا: المميزات الجغرافية

تنتمي منطقة الشاوية للمناطق شبه الجافة، إلا أنها كانت مجالا ملائما لانتشار زراعة الحبوب وتربية الماشية منذ ما قبل عهد المرابطين[1] والموحدين[2] في الفترة الوسيطية (ق12م) واشتهرت بكونها خزانا للحبوب[3]، وهي تنقسم إلى الشاوية العليا والسفلى، إذ يحتل موقع الشاوية العليا موقعا متميزا بفضل وجوده بالقرب من الممر الرئيسي بين الشمال وجنوب المغرب، وبحكم انتمائه إلى بيئة جغرافية ذات سطح منبسط فكثير من أجزائه تغطيه تربة خصبة من نوع التيرس[4]، والحمري[5] وهو يمتد من حافة الكارة – سطات إلى منطقة تادلة لها عدة أسماء هضبة الفوسفاط، هضبة الورديغة.

وتحتوي المنطقة على مجموعة من الهضاب يغلب عليها تارة طابع الانبساط وتارة أخرى التموج والتفكك ويمكننا تحديدها بما يلي: هضاب سطات، بن أحمد، كبير، لبروج

---

[1] **المرابطون:** تأسست على أيدي جماعة من قبائل البربر في الطرف الغربي من الصحراء الكبرى، كانت ذات حضارة مستقرة باهرة، بقيادة يوسف بن تاشفين، استولى المرابطون على النصف الغربي من المغرب وعلى كل بلاد الأندلس. ينظر: روجي لي تورنو، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، تر: أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1982، ص19.

[2] **الموحدون:** أسسها ابن تومرت الذي ساعدته رحلاته المغريبية والمشريقية على الوقوف على أحوال العالم الإسلامي فخطط لإقامة دولة الموحدين ليس في بلاد المغرب وحدها بل العالم الإسلامى. **ينظر:** علي محمد صلابي، دولة الموحدون، دار البيارق، 2008، ص 15 .

[3] بوشعيب السالك، المناخ وديناميةالسطح وعلاقتها بالتنمية المستدامة، منطقة مليلة نموذجا، مقاربة بتقنيات الاستشعار البعدي ونظم المعلومات الجغرافية (SIG)، أطروحة دكتوراه في الجغرافية المناخية، مختبر المجال، مركز الدراسات في الدكتوراه: المجال، المجتمع والثقافة، جامعة حسن الثاني، المحمدية، 2013–2014، ص5.

[4] **التيرس:** تربة سوداء تعني حسب معجم MILRO ROBERT الأرض المستوية وكذلك هي تلك المساحات الشاسعة المنبسطة التي لا تتخللها سوى عقبات متموجة وخفيفة الانحدار. **ينظر:** مصطفى العياطي، التربة وأنواع الأراضي من خلال اللغة التقنية الفلاحية لقبيلة عبده المغربية، مجلة المعرفة، ع:13، مختبر المغرب والحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش 2024، ص954.

[5] **الحمري:** نسبة إلى اللون الأحمر الذي اكتسبته هذا النوع من التربة لكونه غنيا بالحديد والطين نتيجة لسلسلة من العمليات الجيوكيماوية. ينظر: مصطفى العياطي، المرجع نفسه، ص956.

وادي زم، تتخللها بعض المنخفضات مرتبطة بالأودية كمنخفض وادي زمرين وبوغطيس.[1] أما الشاوية السفلى فتمتد من الضفة اليسرى لأم الربيع إلى تانسيفت ومن الضفة اليمنى لأم الربيع إلى جنوب القنيطرة[2]، وهي وحدة تضاريسية متصلة مع الرصيف الساحلي أو ما يصطلح عليه عند الجيومورفولوجيين الميسطا الساحلية وهي امتداد للحاشية الغربية للهضبة الوسطى تمتد شمال مدينة المحمدية إلى المجرى الأسفل لنهر أم الربيع ومن الساحل إلى خط يربط تقريبا بين مركز مديونة، بوسكور، ثم بئر الحديد.[3]

أما عن الوحدات المناخية بمنطقة الشاوية فمكوناتها وامتدادها المجالي يكون بشكل التالي:

- مناخ ساحلي رطب على طول الشاوية الساحلية والحواشي الجنوبية لإقليم بن سليمان (400 مم سنويا)
- مناخ قاري تحت التيارات البحرية والمناطق المجاورة لبرشيد [الأمطار من 300 إلى 400مم سنويا]
- مناخ قاري جاف في الجنوب الشرقي ومن المناطق المجاورة للبروج وبإقليم خريبكة (الأمطار أقل من300 مم سنويا)

أما درجات الحرارة فهي باردة في الشتاء تتراوح ما بين (5°-15°) وحارة في الصيف إذ يمكن أن تصل إلى (35°-45°) في بعض المناطق[4].

[1] بوشعيب السالك، المرجع السابق، ص 30.

[2] بوعبيد زائر، المقاربة السوسيو مجالية ودورها في دراسة التحولات بالمجالات الجغرافية الأطلانتية: حالة الشاوية السفلى بالمغرب، مجلة روت للعلوم التربوية والاجتماعية، مج: 6، جامعة حسن الثاني، ماي 2019، ص 3.

[3] بوشعيب السالك، المرجع السابق، ص 29.

[4] (د.م)، جهة الشاوية، ورديغة، المرجع السابق، ص 54.

المبحث الثاني: التكوين البشري لبلاد الشاوية

تعد منطقة الشاوية من المناطق التاريخية العريقة التي تتمتع بإرث إنساني وحضاري عميق فقد شكلت عبر العصور نقطة التقاء للعديد من القبائل والمكونات الإنسانية المتعاقبة عليها التي تنافست وتقاتلت للدفاع عن المنطقة وتثبيت أركانها بها، مما جعلها مسرحا للتفاعلات البشرية المتعددة وأكسبتها عدة أسماء.

أولا: أصلا التسمية والتركيبة البشرية

لم تكن مناطق المغرب تعرف باسم خاص يميزها بل باسم المجموعات البشرية التي تقطنها (الجيتوليون[1]، البكاوات، الكوشيبون، الأوطولوت) ويرجع هذا الفضل لعدم وجود الغزاة على المنطقة لشراسة مقاومة سكانها[2]، ومع أهمية إقليم تامسنا فقد سكنه العديد من قبائل البربر خاصة المصمودة[3]، إذ يقول ابن العذاري في هذا الصدد: "... **بلاد تامسنا هي بلاد المصامدة...**"[4] وتعتبر كلمة تامسنا مفردة بربرية من لهجة زناتة ومعناها البسيط الخالي[5]، وقد اندثر هذا الاسم وبقي ما يذكر به كبابط تامسنا بالرباط[6] مثلا[7]، وقد عرفت

---

[1] **الجيتوليون:** اسم يطلق على سكان السهوب ما بين الصحراء والتل وتمتد بلادهم من المحيط الأطلسي إلى فزان والسرت وهم سكان يقومون على حياة الرعي والبداوة والزراعة، اشتهروا في تاريخ المغرب القديم بكونهم رعاة نموذجيين. ينظر: العمري عصماني، تاريخ وأثر المغرب القديم، مطبوعة بيداغوجية خاصة بتدريس طلبة السنة الثانية آثار التاريخ، جامعة قسنطينة 2، ص 18.

[2] بوشعيب السالك، المرجع السابق، ص 16.

[3] **المصمودة:** هم أبناء محمود بن يونس بن بربر وهم من بطون برغواطة، عمارة لأهل جبل درن، تركت أثرا كبيرا في تاريخ دول المغرب الأقصى. ينظر: بوزيان الدراجي، القبائل الأمازيغية، أدوارها وموطنها، وأعيانها، ج:2، ط 4، 2010، ص268.

[4] رجب محمد عبد الحليم، دولة بني صالح في تامسنا في المغرب الأقصى 125-455هـ/743- 1063م، دار الثقافة للنشر وتوزيع، ص15.

[5] لسان الدين ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، المصدر السابق، ص 180.

[6] **الرباط:** توجد على الضفة اليسرى من مصب أبي الرقراق وعلى الشاطئ المحيط الأطلنتي. ينظر: عبد الإله الفاسي، مدينة الرباط وأعيانها في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين 1830- 1912م، منشورات جمعية الرباط، ص 13.

[7] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المصدر السابق، ص 29.

أيضا باسم بورغواطة التي نشأت في القرن الثاني للهجرة بتامسنا وهي تبدأ من مدينة الرباط حاليا وتمتد إلى ثغر فضالة، الذي كان قاعدة لأسطولها، وتنتهي عند بلدة أزمور عند مصب وادي أم الربيع وقد اتخذت من مدينة شالة عاصمة لها، وهذا ما أكده ابن الخطيب.[1]

ثم أصبحت تسمى بالشاوية وهو الاسم الذي ما زال قائما لحد الساعة، ويظهر أن هذا الأخير أطلق على بعض الفرق التي كانت ترعى الماشية[2] في المنطقة بتكليف من أمراء فاس من بني مرين وتعيين عبد الله بن الكندور كمشرف على المجال وعلى النشاط الرعوي[3] الرعوي[3] وهذا ما يفسر ارتباط منطقة الشاوية بتربية المواشي لأن أهل الشاوية اختصوا بحرفة الرعي فقط، ويقصد بلفظ شاوي في العرف العام الشرعي هو من يسكن الأرياف ويرعى الأغنام أو من يزرع الأرض ولا يتكلم اللهجة البدوية وجاء في تعريفه بكتاب اللغة:

ورجل شاوي مثقل الياء صاحب شاء، قال الشاعر:

ولست بشاوي عليه دمامة.....إذ ما يغدو بقوس وأسهم.[4]

حيث ذكر ابن خلدون أن الشاوية من ولد حسان بن أبي سعيد الصبيحي بالتصغير بطن من سويد وسويد هي إحدى قبائل بني مالك بن زغبة الهلالية وكان دخوله وأخيه موسى أبي سعيد إلى المغرب الأقصى أيام السلطان يعقوب بن عبد الحق فجعل انتجاع إبله ورواحله وسائر ظهره في أحياءهم فقدم عبد الله بن الكندوز على رعايتها حسان وأخاه موسى الصبيحيين وكانا عارفين برعاية الإبل وكانت ماشية السلطان يعقوب متفرقة في سائر المغرب وجمعها لعبد الله بن الكندوز وجمعها هذا الأخير لحسان الصبيحي الذي كان يباشر

[1] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 174.

[2] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب 1894-1910 حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية، ط2، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1994م، ، ص113 .

[3] بوشعيب السالك، المرجع السابق، ص16.

[4] شمخي جابر فاضل، القواعد اللهجية في كلام البدو والشاوية، العراق، 2022، ص 18.

أمور السلطان في شأن الماشية ويطالعه بمهماته ومن حسان هذا تفرعت شعوبهم من ولده[1].

وفي نفس الشأن يضيف ابن الأعرج مانصه: "... **في سنة ستة وسبعين وستمائة أيام يعقوب بن عبد الحق المريني أنزل بها قبيلة الشاوية قدموا من المغرب الأوسط، أما عربهم فهم من سويد الهلاليين وأما زناتة فهن مغراوة وميزاب وكتامة الإباضيين، وانضم إليهم من الوطنيين والبربر خلف كثير وأطلق على الجميع اسم الشاوية لقيامهم على رعاية شاة السلطان وإبله**".[2]

ثانيا: لمحة موجزة عن تاريخ منطقة االشاوية

عمرها الإنسان منطقة الشاوية منذ عصور ما قبل التاريخ، ويدل على ذلك ما خلفه الإنسان القديم من إنسان لقبيبات ودار السلطان برباط، وإنسان هرهورة بتمارة، وإنسان تيط مليل وسيدي عبد الرحمن، بالدار البيضاء أيضا، والأدوات المكتشفة بكهف البارود قرب مركز بن سليمان ومواقع ساحل بوزنيقة، المحمدية، على مصنوعات خزفية والقطع النقدية المكتشفة بالمنطقة.[3]

وبهذا فقد مرت بالعديد من التطورات التاريخية عبر العصور القديمة التي أثبتتها الحفريات الأثرية، وقد أصبحت هذه المنطقة شاهدة على الصراع المذهبي بين العرب والبورغواطيين، وهم أخلاط من البربر اجتمعوا على شخص يهودي ادعى النبوة اسمه صالح بن طريف بن شمون البرباطي نسبة إلى واد برباط جنوب الأندلس RIO BARBATE، فأصبحت كلمة برباط تطلق على كل من اعتنق ديانته ثم حرفه إلى برغواطي[4]، وكان هذا الأخير مغربي المولد ضليعا بلغة البربر ودعاهم إلى الإيمان به وذكر أنه نبي ورسول

[1] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة المرينية. ق 2، ج 4، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، 1955، ص 66.

[2] علال الخديمي، المرجع السابق، ص 113.

[3] بوشعيب السالك، المرجع السابق، ص 15.

[4] أحمد المختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص 289.

مبعوث إليهم واحتج بقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ**﴾[1] وأن محمدا صلى الله عليه و سلم عربي اللسان مبعوث إلى قومه[2].

ألف هذا المدعو كتابا باللغة البربرية يقرؤونه في صلواتهم ويتلونه في مساجدهم وهو يتألف من ثمانين جزء فأطلق عليهم بهتانا وزورا سور أكثرها منسوبة إلى أسماء الأنبياء[3] أولها سورة أيوب وآخرها سورة يونس وفيها سورة فرعون، قارون، هامان، يأجوج ومأجوج الدجال، العجل، هاروت، ماروت إبليس، نمرود، الديك، الجمل، الجراد، الحمل، الحنش غرائب الدنيا والعلم العظيم.[4]

كما وضع مجموعة من التعاليم خمس صلوات في النهار وخمسة في الليل، وأباح الزواج بالنساء دون حدود والطلاق والعودة للمطلقة متى شاؤوا.[5]

وحينما ظهر الفاطميون واندلع الصراع بينهم وبين بني أمية في الأندلس على المغرب الأقصى تعرض هؤلاء لخطر الجيوش، كما أن محمد بن الفتح المعروف بالشاكر لله أمير سلجمانة دعا قومه لجهادهم في منتصف القرن الرابع هجري ولم يصل إلى هدفه ثم توجه إليهم عامل منصور بن أبي عامر[6] وجعفر بن علي سنة 366هـ/976م ثم صنهاجة[7]

---

[1] القرآن الكريم، سورة إبراهيم، الآية 4.

[2] أحمد المختار العبادي، المرجع السابق، ص 282.

[3] محمد طالبي، إبراهيم العبيدي، البرغواطيون في المغرب، ط 1، ص ص 50-52.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 276.

[5] محمد طالبي وإبراهيم العبيدي، المرجع السابق، ص 75

[6] **منصور بن أبي عامر**: أصله من الجزيرة الخضراء، كان جده السابع قد دخل إلى الأندلس مع جيش طارق بن زياد، امتاز بالذكاء الحاد والفطنة، تولى منصب قاضي قضاة المغرب. ينظر: منيرة بنت عبد الرحمان الشرقي، المنصور بن أبي عامر بين الهدم والبناء، 336-392هـ/976-1002م، جامعة الملك سعود، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع: 40، رجب 1437هـ، ص ص 219 -222.

صنهاجة[1] لكن بقيت صامدة، وبسبب فكرها الخارج عن الإسلام جعلها تدخل في صراعات ومواجهات قوية مع بعض الدول الإسلامية التي تعاقبت على حكم المغرب من بينهم الأدارسة[2]، المرابطين والموحدين.[3]

فقد حطمها الموحدون نهائيا سنة 1118م مطبقين عليها سياسة الأرض المحروقة فعملوا على إتلاف كل معالمها الحضارية ومقومات ازدهارها الاقتصادي خاصة في عهد يعقوب المنصور[4]، فلم يعد لهم ذكر وأصبحت فارغة من سكانها، ومع هذا وذاك قام البعض البعض من سكانها بمحاولات لتشييد بعض المدن التي ضمت حوالي أربعمائة (400) كانون[5]، ثم سار يعقوب الموحدي ونقل جنود بني هلال وجشم من القيروان (تونس) إلى المغرب فأنزل قبيلة رياح ببلاد الهبط بالمغرب وقبائل جشم ببلاد تامسنا، ومن بين هذه القبائل الهلالية نذكر (الخلط، بنو جابر، ورديغة، صفيان، أولاد جرمون، أولاد مطاع، وحسان، عرب المعقل حسين، بنو مالك)[6].

---

[1] **صنهاجة:** هي إحدى القبائل الأمازيغية الكبرى إلى جانب مصمودة وزناتة وهم أكثر أهل المغرب. ينظر: عماد أدرداك، قبائل "صنهاجة أسراير" بالريف: التسمية والأصول، مجلة تيدغين للأبحاث الأمازيغية والتنمية، ع: 3، 1435هـ/2964أ/2014م، ص 6.

[2] **الإدريسية:** قامت في المغرب سنة 172–223 هـ/788–835م مع إدريس الأول مؤسسها منح حكامها للمغرب مكانة عالية حيث حولو المغرب من الأرياف تضم القرى إلى بلد تكاثرت فيه المدن المتحضرة. ينظر: سعدون عباس نصر الله، دولة الأدارسة في المغرب، العصر الذهبي 176–636هـ/788–835م، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص ص 7–8.

3 بوشعيب السالك، المرجع السابق، ص ص 17–18.

[4] **يعقوب المنصور:** هو أبو يوسف بن عبد المؤمن بن علي الموحدي صاحب بلاد المغرب، بيع سنة 580هـ ولقبوه بالمنصور وعمره 32 سنة. ينظر: خالد يونس الخالدي، أسباب النصر والتمكين لدولة الموحدية في عهد المنصور يعقوب بن يوسف الموحدي (595–580هـ/1199–1084م)، جامعة الإسلامية، غزة، أغسطس، 2017م ، ص 33.

[5] بوشعيب السالك، المرجع السابق، ص ص 17–19.

[6] الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص 82.

استطاع يعقوب الموحدي سد الفراغ وتهجين الساكنة وبالفعل انصهر العنصر العربي مع العنصر البربري في وحدة ما زالت ملامحها بارزة حتى الآن،[1] وعرف باسم بالشاوية أشرنا إلى مفهومها سابقا وقد عرفت هذه المنطقة سلسلة من الأحداث خاصة مع التحرشات الأجنبية ،بحكم موقعها وخيراتها الهائلة وهو أهم إقليم بالمغرب تكالبت عليه الأطماع. منذ القرن19م بدأت المنطقة تتعرض لتسرب والتغلغل الأوروبي خاصة مع حاجتها الأسواق الغنية ومواقع الإستراتيجية فواكب ذلك انتشار واسع للحمايات والمخالطات،[2] خصوصا مع اشتهار المنطقة بخصوبة أرضها ووفرة إنتاجها فقد وصفها ديشيني (Chenicr) بأنها إقليم غني وغزير الإنتاج ومنتوجاته مغذية جدا، وكذلك كتب الرحالة الاستطلاعية الأوربية إلى أهمية إنتاجها للحبوب والأصواف والمواشي[3].

بعدما انتشرت الحماية والمخالطة بها انعكس عليها بالسلب فأزداد فقر غالبية السكان وتلاشى تماسك القبائل وساءت معيشة الكثيرين خاصة قبيلة مديونة التي انتشرت فيها ظاهرة الحماية والمخالطة بشكل كبير وزناتة وأولاد حريز[4]، ورغم كل هذا فإن قبائل الشاوية تقوم بطاعة الأوامر والقيام بالواجبات وأداء الكلف المخزنية رغم مواجهتها لتعسفات ممثلي المخزن خلال عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان، المولى الحسن الأول، ومع أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن الشعرين تزايدت حدة الصراع بين ممثلي المخزن وقبائل الشاوية مما ساهم في التسرب الأجنبي عبر العديد من الآفاق والمعاهدات.[5]

---

[1] شعيب حليفي، المقاومة الوطنية في الشاوية، من الثورة إلى الانتفاضة ، ط1، مؤسسة تامسنا للدراسات والأبحاث حول الشاوية، الدار البيضاء، 1999، ص9.

[2] محمد بوجميل، مقاومة الشاوية ضد الاحتلال الفرنسي، تاريخ وفنون الشاوية، الملتقى الثاني لفنون الشاوية، وزارة الثقافة المملكة المغربية، سطات، 1990، ص ص 53-54.

[3] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص 130.

[4] المرجع نفسه، ص ص 160-161.

[5] نور الدين فردي، انتفاضة الشاوية بين الاحتلال الفرنسي والمخزن والقبائل، المقاومة الوطنية بالشاوية، دفاتر الشاوية، ط1، منشورات مؤسسة تامسنا للدراسات والأبحاث حول الشاوية، الدار البيضاء، 1999، ص 21.

ولي تتضح الصورة أكثر نعرض خريطة تبين أماكم انتشار واستقرار القبائل على مستوى منطقة الشاوية خلال الفترة الحديثة والمعاصرة:

خريطة تبين أهم القبائل المتواجدة في منطقة الشاوية

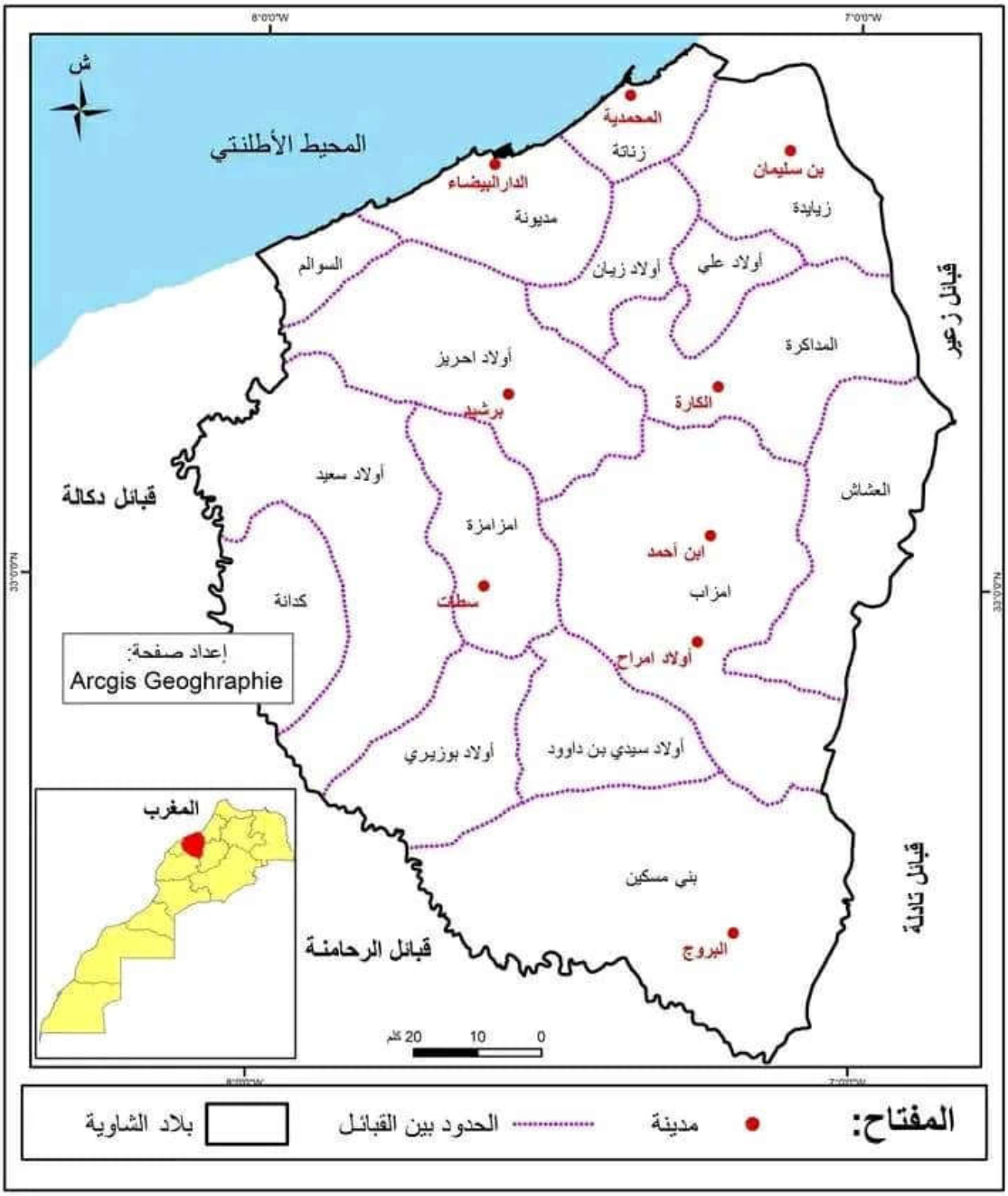

المصدر: https://images.app.goo.gl/QsJ6SLDD1JpSMdhw8

تظهر الخريطة المجال الجغرافي للمنطقة بلاد الشاوية الواقعة في الشمال المغرب والتي تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى حدود قبائل زعير شرقا كما توضح الخريطة

التقسيم الدقيق للمنطقة حيث تبرز مجموعه من القبائل الكبيرة مثل: أولاد حريز أولاد علي أولاد سعيد والمذاكرة... الخ، بالإضافة إلى حواضر حضاريه كبرى مثل: الدار البيضاء والمحمدية سطات برشيد... الخ، من خلال هذه الخريطة نلاحظ ان المنطقة تنقسم إلى وحدات قبليه تحددها حدود مرسومة بخطوط متقطعة مما يعكس التنظيم القبلي الذي كان سائدا في مرحله ما قبل الحماية الفرنسية كما يشير مقياس الرسم الموجود أسفل الخريطة إلى الامتداد الجغرافي الواسع للمنطقة بينما يوضح السهم الشمالي الاتجاهات بدقه.

خريطة توضح المجال الجغرافي والقبلي لبلاد الشاوية

المصدر : https://mon-aigle.com/Vieux_Maroc/weisgerber-casa-chaouia-1900/chaouias-1900.pdf

تعكس الخريطة المعروضة لمنطقة الشاوية عام 1900م، البنية الجغرافية والقبلية والاقتصادية للمنطقة قبل فترة الحماية الفرنسية وتظهر بوضوح التوزيع المكاني للقبائل الكبرى في الشاوية مثل: أولاد حريز أولاد سعيد، زناتة، وأولاد أبورزك، وبني مسكين... الخ، وقد اعتمدت الخريطة على ألوان ورموز توضيحية دقيقه توضح نسبة الأراضي المزروعة والمجالات الغير المستغلة والغابات والمصادر المائية مما يدل على الاهتمام الكبير باستغلال الموارد الطبيعية في المنطقة كما تظهر الخريطة وجود عدد من الزوايا ما يعكس البعد الديني في المنطقة، إلى جانب ظهور أسماء الدواوير والمواقع العسكرية التي انتشرت فيها القوات الفرنسية تعكس هذه الخريطة الأهمية الإستراتيجية والاقتصادية للمنطقة لاسيما من حيث خصوبة أراضيها وتنوع مواردها.

من خلال دراستنا للإطار الجغرافي والبشري لبلاد الشاوية:

- تتمتع المنطقة بموقع استراتيجي هام تؤكده معالمها الجغرافية وحدودها الطبيعية.
- شكلت المنطقة وحدة مجالية متميزة أتاح موقعها الممتد بين الساحل الأطلسي والمرتفعات الداخلية وكذا المجاري المائية قيام نمط من الاستقرار البشري بها قائم على استغلال هذه الموارد الطبيعية خصوصا بتربية الماشية وزراعة الحبوب التي اشتهرت بها المنطقة
- ساهم موقعها الغني بكل هذه المؤهلات ساهم في تطورها وازدهارها ما جعلها منطقة جذب خاصة مع وصول الأوروبيين للمغرب
- تميزت بتركيبة بشرية قبلية متنوعة عبر العصور
- عرفت منذ القدم حضورا قبلي ما جعلها تتميز بعدة تسميات وصولا لاسم الشاوية الذي لازال قائما لحد الآن.

الفصل الأول: تحليل ظروف وأسباب انتفاضة الشاوية

المبحث الأول: خطورة الامتيازات الأجنبية على السيادة المغربية

أولا: الحماية القنصلية والمخالطات على مستوى منطقة الشاوية

ثانيا: معاهدات واتفاقيات المغرب مع الدول الأوروبية خلال القرن التاسع عشر

المبحث الثاني: قرارات مؤتمر الجزيرة الخضراء وانعكاساتها على الوضع العام في المنطقة

أولا: ظروف انعقاد مؤتمر الجزيرة الخضراء

ثانيا: قرارات المؤتمر وانعكاساتها

المبحث الثالث: المستجدات الاقتصادية والسياسية بالمغرب وانعكاساتها على المغاربة عموما وساكنة الشاوية بشكل خاص

أولا: تدهور الأوضاع المعيشية بالشاوية

ثانيا: انتشار الثورات

ثالثا: كثرة الاغتيالات واحتلال الدار البيضاء

شكلت انتفاضة الشاوية الشعبية بالمغرب عام 1907 واحدة من أبرز حركات المقاومة ضد التدخل الأجنبي، خاصة ضد الاحتلال الفرنسي. ولم تكن وليدة الصدفة بل جاءت نتيجة لتراكم عدة عوامل سياسية واقتصادية وإجتماعية أثارت غضب السكان وأدت إلى اشتعال المقاومة في المنطقة.

المبحث الأول: خطورة الامتيازات الأجنبية على السيادة المغربية .

شهد المغرب منذ بداية القرن التاسع عشر سلسلة من الاتفاقيات والمعاهدات مع الدول الأوروبية، التي بدت في ظاهرها تعبر عن التعاون والمصالح المشتركة، لكن في جوهرها كانت تحمل بذور الهيمنة والتغلغل الاستعماري. وقد أسهمت هذه الامتيازات في تقويض سلطة الدولة المركزية وزعزعة السيادة الوطنية، مما أتاح للبلاد أن تصبح ساحة مفتوحة للتدخل الأجنبي، خاصًة في ظل ضعف الدولة ونقص مواردها.

أولا :الحماية القنصلية والمخالطات على مستوى منطقة الشاوية:

تعتبر الحماية القنصلية أو الدبلوماسية نظام سياسي وقضائي يمنح من خلاله للممثلين الدبلوماسيين والقنصليين المعتمدين في بلد ما حماية دولهم لرعاياه، فهم يقيمون فوق أرض تلك الدولة غير خاضعين لقوانينها ولا ملزمين بأداء ما يجب على سائر مواطنيها أداءه من دفع للضرائب والقيام بما يقومون به من خدمات وطنية ... الخ وهو نظام يتنافي مع سيادة الدولة وانبساط سلطتها وقوة قوانينها وأحكامها التي يجب أن تطبق على جميع المقيمين فوق أرضها سواء كانوا وطنيين أصلا أو أجانب دخلاء.[1]

ظهرت الحماية في بداية الأمر كامتياز يمنحه ملوك المغرب لدول أجنبية يسمح لها بحماية رعايا ليست لهم علاقة مع المغرب، حيث يحصل هؤلاء الرعايا على نفس الحقوق

[1] كريدية إبراهيم، ثورة بوحمارة 1902 – 1909م، شركة الطبع والنشر، الدار البيضاء، 1994م، ص11.

الممنوحة لرعايا الدولة الحامية.[1] في البداية ظهر نظام الحماية بشكل خافت وغير واضح ولم يكن يشكل تهديدا على المخزن لقلة المستفدين منه إلى غاية 1844[2]. وقد تم منح هذه الحماية في عهد السلطان محمد بن عبد الله[3] الذي لم يكن مدركا خلال أوج قوة المغرب في عهده، أنه بتوقيعه للاتفاقيات مع السويد و فرنسا والدنمارك والبرتغال، كان في الواقع يزرع بذور أزمة مستعصية في الأراضي المغربية[4]

كانت الدول الأوروبية تنظر إلى المغرب كدولة قوية ثم بعد معركة إيسلي[5] برزت علامات الضعف عليها، مما أدى إلى تغير وجهة نظر الحماية، حيث أصبحت تمثل مصدر للضعف الداخلي للدولة، [6] مما زاد الطين بلة هزيمة المغرب في معركة تطوان[7] التي كانت بين اسبانيا والمغرب سنة 1860م . فوصفتها الروايات: "**فكانت الحرب بينهم سجال والنصر للمسلمين في غالب الأحوال إلا أن تكاملوا عن القتال وقعدوا وتخالفوا عما جزموا به وتوعدوا،حتى ان نحو 100من المسلمين يقاتلون ونحو 1000 أو 2000 يتفرجون**

---

[1] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص197.

[2] طيب بياض، المخزن والضريبة والاستعمار ضريبة الترتيب (1880–1915)،إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2001، ص180

[3] **السلطان محمد بن عبد الله:** ابن اسماعيل ولد بمكناس (1721–1722)، يوجع بفاس بعد وفاة والده نوفمبر 1757، توفي 11 أفريا 1790. ينظر: عبد الرحمن ابن زيدان، الدرر الفاخرة بمآثر وملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية بالرباط، 1937م، ص55.

[4] الطيب بياض، المخزن والضريبة والاستعمار، المرجع السابق، ص180.

[5] **معركة إيسلي:** هي معركة وقعت في بوادي إيسلي في 6 أوت 1844م، تلخص هذه المعركة الدفاع عن الإسلام والمسلمين في الجزائر، انعكست نتائجها على المغرب بعدها فهي تمثل نهاية المغرب الأقصى. ينظر: بلعربي نور الدين، معركة إيسلي وانعكاساتها على المغرب الأقصى ومقاومة الأمير، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج:5، ع: 12، جامعة خميس مليانة، ديسمبر 2017، ص ص 104–106.

[6] عبد الوهاب ابن منصور، مشكل الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد 1880، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1985، ص30.

[7] **معركة تطوان:** وقعت هذه المعركة في طريق تطوان طنجة بين المغرب تحت قيادة العباس أخ السلطان محمد بجيشه الكبير في وجه الجيش الإسباني، وقعت سنة 1860م، وانهزم فيها الجيش المغربي. ينظر: عبد الحفيظ حمان، طريق طنجة تطوان في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، سطور، مج: 08، ع: 16 يوليو 2022م، ص ص75–76.

من بعيد يتلصصون على ما وجدوه من محلة المسلمين فانكسر المسلمون انكسارا لم يعهد لهم مثله ،وزال حجاب الهيبة عن بلاد المسلمين للذمامة الاصبنيول حينئذ وحقارته لدى الدول العظام، إذ غلب الحقير اشد للحسرة وأكد للفضيحة".[1]

يظهر من هزيمة تطوان أن الجيش المغربي لم يكن مدربا تدريبا كافيا فقد كان الجيش الاسباني يواجه من طرف قوات قليلة بطريقة بدائية في حين ان القوات المصاحبة لمحلات المولى العباس والمولى احمد، هزمت بسهولة وانتهى الدور العسكري للجيش المخزني باحتلال تطوان.[2]

صارت الحماية القنصلية كارثة على المغرب والمغاربة، والذي أكده الباحث عبد الوهاب بن منصور حينما كتب في هذا "**فقد أزالت هذه النكسة حجاب الهيبة عن بلاد المغرب".**[3]

أدى تعدد أساليب الحماية من قبل دول مختلفة إلى إنتاج حالة من الفوضى وخلخلة النظام، مما أفضي إلى نشوب صراعات بين القبائل والعشائر، كما حدث بين قبائل الشاوية نتيجة لخلافات نشأت بين رعاة الغنم، حيث قام بعضهم بالاختلاط بأشخاص من الإنجليز أو الفرنسيين، بينما اختلط آخرون مع الأسبان أو البرتغال، وقد تطور النزاع من الرعاة إلى المتخالطين، مما جعل كل عشيرة تتعصب لمختلطها وتستعد للقتال.

في الوقت نفسه، بقي الولاة عاجزين على تصحيح هذا الوضع[4] كما أن تأثير الفساد قد قد تجاوز الأفراد العاديين ليطال شيوخ القبائل، فلقد لجأ كل من استبد بالحكم وارتكب الفساد إلى التهرب من العقاب بفضل حماية الأجانب، مما أدى إلى تراجع الهيبة والسلطة للأوامر

---

[1] حنان انجا، دور مدينة تيطوان في الإصلاح العسكري ،مجلة المعرفة، ع:6 ، يونيو 2024، ص 937.

[2] المرجع نفسه، ص 937.

[3] علال الخديمي، المرجع السابق، ص ص 169-170.

[4] عبد الوهاب ابن منصور، مشكلات الحماية القنصلية...، المرجع السابق، ص ص53-54.

الصادرة عن القادة، وبسبب ذلك، ساءت العلاقة بين القبائل والمخزن، وازداد الفساد حتى استغله الأجانب كفرصة للتدخل في شؤون القبائل[1] فأساء الأجانب استغلال الامتيازات التي منحها لهم المغرب، حتى باتوا يعتمدون عليها في تهريب المجرمين، بما في ذلك بعض المواطنين والتهرب من دفع الضرائب بمختلف أشكالها.

عموما تمثل هذه الممارسات انتهاكا واضحا لسلطة القانون[2] فتحمل أبناء الشاوية الذين لم يحظوا بالحماية عبئا كبيرا من الشطط والتجاوزات من إخوانهم المحميين، فلقد قاموا بدفع مستحقات مالية تهرب منها الآخرون، وقاموا بتنفيذ كل ما يطلبه المخزن من قبيلتهم وبذلك تحملوا أعباء مالية وإدارية ثقيلة أنهكت كاهلهم كل هذه الظروف أثرت سلبا على سيادة المغرب واستقراره السياسي.[3]

[1] علال الخديمي، المرجع السابق، ص ص 169-170.

[2] شوقى عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا-تونس-الجزائر المغرب)، مكتبة الإنجلر المصرية، ط1، ، 1977، ص316.

[3] الطيب بياض، الحماية القنصلية أداة التغلغل الأجنبي في المغرب بلاد الشاوية نموذجا، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية، ع:2، كلية الآداب، الدار البيضاء، ص66.

ثانيا: معاهدات واتفاقيات المغرب مع الدول الأوروبية خلال القرن التاسع عشر:

ظهر نظام الامتيازات الأجنبية في البداية مع الدولة العثمانية، حيث تبنته دول أخرى مثل المغرب التي أبرمت معاهدات مع الدول الأجنبية[1] حتى بداية القرن التاسع عشر اتسمت جميع هذه المعاهدات بطابع السلم والصداقة ،حيث كانت تنادي بمبدأ المعاملة بالمثل بين الدول الموقعة عليها،[2] ثم دخل المغرب مرحلة جديدة من التدخل الأوروبي عقب هزيمته في معركة إيسلي أوت 1844م. إذ اعتبرت نقطة تحول خطيرة في تاريخ البلاد فقد وجد المغرب نفسه في دوامة من التنازلات وفقدان الهيبة.[3]

تعددت الأطماع الأوربية على خيرات المغرب، إلا أن الأطماع الفرنسية كانت الأشد ضررا. كما أبدت دول أخرى إهتماما بالمنطقة مثل إسبانيا التي لا تزال تحتل سبتة[4] ومليلية[5]، فاهتمت دول أوروبا الرأسمالية خلال الفترة الممتدة من عام 1840م وإلى غاية عام 1880م أولا قبل كل شيء، إلى فتح أسواق في المغرب، بعدما فرضت توقيع معاهدات تجارية بعد القيام بحملات عسكرية. كانت هذه المعاهدات غير متكافئة، حيث لم تقتصر

---

[1] مصطفى بطراوي، الامتيازات الأوروبية في المغرب الأقصى، ظهورها وتطورها خلال القرنين 18و19، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج:5، ع:12، ديسمبر 2017، ص140.

[2] ألبير عياش، المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية، ط1، تر: عبد القادر الشاوي ونور الدين سعودي، دار الخطابي للطباعة والنشر، الرباط، 1985، ص44.

[3] فادية عبد العزيز قطعاني، الحركة الوطنية المغربية 1912-1937، المجلة الجامعة، مج:1، ع:16، فبراير 2014، ص40.

[4] **سبتة:** مدينة فينيقية الأصل استوطنها القرطاجيون واستعمرها بعدهم الرومان وغزاها الوندال ثم دخلت في حوزة القوطيين، إلى أن فتحها العرب وهي ميناء عظيم على شاطئ البحر الأبيض المتوسط. ينظر: الصديق بن العربي، كتاب المغرب، ط3، دار الغرب الإسلامي، المغرب، 1984، ص225.

[5] **مليلية:** ميناء عظيم على شاطئ البحر الأبيض المتوسط في منتصف الطريق بين وهران وسبتة شيد في الرأس داخل في البحر الأبيض المتوسط بمسافة 40 كلم، يرجع تاريخها للعصور القديمة، والمدينة من أكبر الجيوب الاستعمارية الإسبانية بالمغرب، وقد جعلت منها اسبانيا قاعدة عسكرية وجهزت مينائها حيث أصبح من أهم مراكز الصيد. ينظر: المرجع نفسه، ص186.

على فتح الموانئ أمام الدول العظمى الموقعة عليها فحسب بل تضمنت أيضا منح امتيازات كبيرة للتجار والأجانب.[1]

من بين هذه المعاهدات، برزت المعاهدة المغربية البريطانية المنعقدة عام 1856م كاتفاقية للصلح والسلام بين المغرب وبريطانيا[2]، وقد حصلت هذه الأخيرة بموجبها على مجموعة من الامتيازات منحت لرعاياها المقيمين بالمغرب تضمنت الإعفاء من دفع الضرائب واحترام ممتلكاتهم. بالإضافة إلى ذلك تضمنت المعاهدة معالجة قضايا خاصة وإلغاء نظام الاحتكار المتعلق ببعض الموارد الهامة.[3]

ومنذ عام 1860م، استغلت اسبانيا فرصة وقوع اضطرابات محلية في المناطق المجاورة لمدينة سبتة فقامت بتنفيذ خطتها الاستعمارية، فقد شنت حملة عسكرية على مدينة تطوان[4] انتهت باحتلالها. مما أدى إلى فرض معاهدة صلح قاسية على المغرب. تضمنت هذه الأخيرة دفع غرامات مالية وعقد اتفاق تجاري بين البلدين، بالإضافة إلى الإفراج عن جميع الأسرى الأسبان والسماح ببناء كنيسة ودار تبشير في مدينة فاس،[5] وهو ما يتعارض مع تعاليم الدين الإسلامي أسوة ببريطانيا وإسبانيا.[6]

---

[1] ألبير عياش، المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية، المرجع السابق، ص ص43-44.

[2] عبد الوهاب ابن منصور، مشكلة الحماية القنصلية...، المرجع السابق، ص139.

[3] ألبير عياش، المرجع السابق، ص44.

[4] **تطوان:** هي مدينة مغربية في الشمال وأسست قصبة تطوان في عهد يوسف المريني سنة 685هـ ثم اتسعت عمارتها طيلة العصر المريني إلى صدر القرن التاسع، ثم هاجر إليها الأندلسيون ثم جددوا بناءها وأصلحوا العديد من مرافقها، احتلها الأسبان أول سنة 1286هـ، ثم خرجوا وأعادوا الكرة بعد إعلان الحماية على المغرب سنة 1912، وأصبحت عاصمة للمنطقة الشمالية المحتلة، كما توجد بها عدة مآثر تاريخية تعطي صورة صادقة على تطور المدينة. ينظر: الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص ص100-101.

[5] **فاس:** تعد مدينة فاس من أكبر المدن الإسلامية في المغرب وتحتل مقاما ممتازا في المغرب كعاصمة ذات تاريخ مجيد، تقع في منصف الطريق بين وجدة والدار البيضاء في مركز جغرافي هام يجعلها نقطة الوصل بين الشمال والجنوب والشرق والغرب، يشقها واد فاس المتفرع عن نهر سبو. ينظر: الصديق بن العربي، المرجع نفسه، ص ص207-211.

[6] الصديق بن العربي. المرجع نفسه، ص ص24-25.

سعت فرنسا إلى إبرام اتفاقية مع المغرب[1] بتاريخ 19 أوت من سنة 1863م حصلت بموجبها على امتيازات واسعة ، فكان من أبرزها حماية فرنسا للفلاحين العاملين مع الرعاة الفرنسيين[2]. نتيجة لكل هذه الأوضاع تصاعدت حدة الغضب الوطني إزاء التغلغل الأجنبي ومعاملات المغرب مع الدول الأجنبية لذا، قامت القوى الشعبية بالاحتجاج وبناء على ذلك، رفعت الحكومة مطالبهم إلى الدول الأوروبية.

وفي عام 1880م تم اتخاد قرار لعقد مؤتمر مدريد. حيث تم السعي لإلغاء الامتيازات الأجنبية. لكن في حقيقة الأمر زادت قرارات هذا المؤتمر من خطورة الأزمة. إذ أتاح في الوقت نفسه نفوذا أجنبيا أكبر في المغرب على المستويات الاقتصادية والسياسية كما منح صفة رسمية لهذه الامتيازات والحمايات.[3]

استطاع السلطان حسن الأول[4] بفضل مهارته وحنكته من أن يخفف حدة الاضطرابات التي تسبب بها الأجانب، ويوقف من تسرب نفوذهم عبر سياسته المحكمة واستمرت هذه الحالة خلال فترة الوصاية التي تولى فيها أبا أحمد[5] أمور الدولة عن الملك

---

[1] فادية عبد العزيز القطعاني، المرجع السابق، ص41.

[2] عبد العزيز بن عبد الله، تاريخ المغرب العصر الحديث والفترة المعاصرة، ج2، مكتبة السلام، الدار البيضاء، ص96.

[3] علال الفاسي، الحماية في مراكش من الوجهة التاريخية والقانونية، مكتب المغرب العربي، القاهرة، 1948، ص ص 6 -7.

[4] **الحسن الأول:** هو بن محمد بن عبد الرحمان بن هشام، ولد سنة 1247هـ، وهناك من أختلف في تاريخ ميلاده بالميلادي ولكن المرجح أنه ولد سنة 1831م، ينتمي من حيث النسب القريب إلى الأسرة العلوية، أما من حيث النسب البعيد إلى الجد الخامس والثلاثون سيدنا علي بن أبي طالب، ينظر: عبد الرحمان بن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تح: علي عمر، ج2، ط1، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، 2008، ص116. للإطلاع على صورة السلطان حسن الأول. ينظر: الملحق رقم 03، ص117.

[5] **أبا حمد:** هو أحمد بن موسى، نشأ نشأة صالحة في كنف والده في القصور الملكية في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان تولى حجابة إبنه وخليفته بفاس الأمير إسماعيل، ثم تولى حجابة السلطان حسن الأول بعد موت أبيه، ثم عندما توفي هذا الأخير دبر البيعة لعبد العزيز وكان وصي عليه إذ تولى أمور الدولة على غاية وفاته 1900م. ينظر: الطيب بياض، المخزن والضريبة، المرجع السابق، ص ص103-104.

الشاب عبد العزيز،[1] ولكن لم يكد هذا الوصي المتميز يواصل في سياسة خلفه حتى أحاط بالعرش مئات من الانتهازيين، الذين ألحقوا ضررا كبيرا بالمالية العامة للدولة، وقد تفاقمت مشكلة هؤلاء المحميين هؤلاء رفضوا دفع الضرائب مما أدى إلى نشوء أزمة مالية تلتها حوادث واضطرابات في البلاد.[2] خصوصا بعد الفتنة التي أحدثها الزعيم بوحمارة[3]، خاصة عقب هزيمة الجيش العزيزي أمام المتمردين عام 1902م، حيث فقد السلطان الكثير من أمواله وعتاده مما أدى إلى حدوث أضرار كبير في خزينة الدولة.[4]

لجأ المغرب إلى الاقتراض، رغم أنه ظل حتى عام 1902 غير مدينا لأي طرف[5] فبذلك تمكن الأجانب من جديد، وبعد عشرين عاما من مقاومة الدولة والشعب،للمحافظة على السيادة الوطنية من إنتاج أزمة مالية خفية تستدعي جهودا كبيرة للتخلص منها.[6]

حرص الملك عبد العزيز على عدم الاعتماد على دولة واحدة في الحصول على القرض المطلوب، خوفاً من أن يتعاظم نفوذها وتنفرد بالمغرب. لذا، قام السلطان بالتواصل مع كل من فرنسا وإسبانيا وإنجلترا، حيث حصل على قرض من كل منها بمبلغ قدره 7.5

---

[1] **الشاب عبد العزيز:** هو ابن السلطان الحسن الأول قدمه والده على أبنائه أكبر منه وأجدر منه، فعين سلطانا بعد وفاة أبيه، ولم يكن يتجاوز الرابعة عشر سنة 1894، في فترة حكمه واجهته عدة صعوبات مما أثر على البلاد، خضع في البداية لوصية الحاجب باحماد، وأمه رقية الشركسية. ينظر: الطيب بياض، المرجع السابق، ص ص110-111. للإطلاع على صورة المولى عيد العزيز، ينظر الملحق رقم4، ص 118.

[2] علال الفاسي، المصدر السابق، ص ص7-8.

[3] **بوحمارة:** ولد بمدشر أولاد يوسف أحد المداشر الشهيرة بجيل زرهون بأحواز مدينة فاس. ولد حوالى سنة 1865م، أرسلته عائلته للتعلم بفاس. وفيها تلقى التربية وتعليم ممتاز وعمل في عدة وظائف متواضعه. دخل السجن ثم سعى لإغتصاب السلطة وساعده على ذلك صفات كانت في شخصيته كان ماكرا ومحنكا. وبوحمارة لقب من ألقابه العديدة كالفتان المارق الدجال الثائر الفاسد. ينظر: كريدية إبراهيم، المرجع السابق، ص35.

[4] علال الخديمي، المرجع السابق، ص35.

[5] الطبيب حجلي، مقاومة المغرب للاستعمار بين الفعل السياسي والعمل المسلح جدلية القطيعة والاستمرارية، مدارات تاريخية – دورية دولية محكمة ربع سنوية، مج:2، ع:5، المغرب، مارس، 2020، ص367.

[6] علال الفاسي، المصدر السابق، ص08.

مليون فرنك، وذلك خلال الفترة الممتدة بين عامي 1902 و1903م، وبذلك بلغ إجمالي القروض حوالي 22.5 مليون فرنك بفائدة قدرها 6%، إلا أن المغرب لم يتلق من هذا المبلغ سوى 13.5 مليون فرنك، حيث تم استقطاع الجزء المتبقي منه لتغطية قيمة الفوائد المستحقة[1]

كما تم استخدام المغرب كضمان لتأمين عائدات الجمارك في طنجة، التي كانت خاضعة لمراقبة الموظفين الإنجليز والفرنسيين[2] وكان من الواضح أن الوضع المالي للدولة لم يكن يسمح لها بتسديد ديونها، مما سيؤدي حتماً إلى الاستدانة مرة أخرى عبر طلب قروض ثانية وثالثة ورابعة[3]. وبانتهاء عام 1903 م استنفذت جميع أموال القرض، مما أدى إلى عودة الخزينة إلى وضعها المالي المتعثر وعندما حاول السلطان مجددا الحصول على قروض من دول متعددة، واجه الفشل مرة أخرى، نظرا لأن كل من إسبانيا وألمانيا وبريطانيا كانت بحاجة إلى أموال، فقد كانت ميزانياتها لا تسمح لها بإقراض المغرب.[4]

ونظرًا لتدهور الأوضاع في المغرب ودعم هذا الأخير لمقاومة الشيخ ماء العينين فقد أدى ذلك إلى فراغ الخزينة المغربية مع زيادة مطالب الدائنين باسترداد أموالهم.[5] فلجأ عبد العزيز إلى طلب قرض من فرنسا[6] وفي 12 جوان من سنة 1904م ، تمكن المغرب من تحصيل على قرض من مجموعة البنوك الفرنسية المشتركة بقيمة 62.5 مليون فرنك[7] لكن

[1] كريدية إبراهيم، المرجع السابق، ص68.

[2] المرجع نفسه، ص69.

[3] علال الفاسي، المصدر السابق، ص09.

[4] كريدية إبراهيم، المرجع السابق، ص69.

[5] علال الفاسي، المصدر السابق، ص09.

[6] ألبير عياش، المرجع السابق، ص54.

[7] فريد ريك وايسجرير، على عتبة المغرب الحديث، تر: عبد الرحيم حزل، 2011، منشورات دار الأمان، الرباط، ص126.

المغرب لم يستلم سوى 48 مليون فرنك. ثم استخدام الجزء المتبقي لتسديد الديون المستحقة عليه والتي تعود إلى عام 1903م.[1]

رهن المغرب هذا القرض بحصول البنوك على 60% من عائدات الجمرك البحري مما استدعى تفويض المخزن الفرنسي للإشراف على تلك العائدات. ونتيجة لذلك، أرسلت الفرق البحرية بقيادة كالبير(calbert) وكاليلي(caleli) إلى المياه المغربية، ومنذ شهر جويلية، بدأ السيد رينيو(regnault) ممثل المقرضين الفرنسيين، بتنظيم عمليات المراقبة من مختلف المراسي دون أن يواجهوا أي مقاومة.[2]

وفي عام 1904، تم توقيع اتفاق بين فرنسا وإنجلترا حيث اعترفت بريطانيا لفرنسا بنوع من الحماية على المغرب[3] شريطة أن لا يتعارض هذا العمل مع امتيازاتها في المغرب وفقا للمعاهدات السابقة وبالمقابل تعهدت فرنسا بعدم التدخل في استغلال إنجلترا لخيرات مصر.[4] كذلك وقعت فرنسا مع إسبانيا على معاهدة ما بين عامي 1904 و 1905. توصلوا من خلالها إلى تحديد مناطق النفوذ لكل منهما في الشمال والجنوب. وقد أتاح هذا الاتفاق للدولتين حرية التصرف بما يتناسب مع مصالحهما في المغرب[5] .

المبحث الثاني: قرارات مؤتمر الجزيرة الخضراء وانعكاساتها على الوضع العام في المنطقة

شهدت بداية القرن العشرين زيادة ملحوظة في حدة التنافس الاستعماري بين القوى الأوربية .وخصوصا بين فرنسا وألمانيا بشأن المغرب الأقصى وفي ظل هذا الصراع نشأت أزمة دولية كادت تؤدي إلى زعزعة توازن القوى في أوروبا ، مما استدعى تدخلا دبلوماسيا

[1] كريدريه ابراهيم،المرجع السابق، ص70.

[2] فردريك وايسجربر، المصدر السابق، ص126.

[3] شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص317.

[4] عبد العزيز بن عبد الله، المرجع السابق، ص98.

[5] الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص27.

لحل النزاع .وقد اختتمت هذه الأزمة بانعقاد مؤتمر دولي في مدينة الجزيرة الخضراء الاسبانية في عام 1906م .

أولا: ظروف انعقاد المؤتمر والمشاركين فيه

نجح المغاربة بفضل تعاونهم مع الألمان على إفشال مشروع الحماية الذي حاولت فرنسا فرضه على المغرب منذ سنة 1905م[1] فاستغلت الحكومة المغربية الدعم الألماني هؤلاء أعلنوا عن موقفهم الراسخ في الدفاع عن سيادة السلطان واستقلاله، مع التأكيد على أهمية الحرية الاقتصادية وفي هذا السياق، وجهت المغرب دعوة إلى الدول الموقعة على اتفاقية مدريد لعام 1880م[2] .وهي اسبانيا ، البرتغال ، فرنسا، انجلترا ، بلجيكا، الدانمارك السويد، النرويج، ألمانيا، روسيا، أمريكا، البرازيل، هولندا والمغرب بطبيعة الحال. يظهر هذا العدد الكبير من الدول، والتي تشمل دولا من أوروبا والأمريكيتين ، أمرين رئيسيين الأول هو الاهتمام الذي تبديه هذه الدول بالمغرب وتطلعاتها بشأن مستقبله وما يمكن أن يجنيه من هذا المستقبل. أما الثاني، فهو مرتبط بالأول حيث يعكس مدى المنافسة الاقتصادية الدولية ولاسيما منطق الاستعمار على أخر دولة من دول المغرب العربي التي لا تزال تتمتع بالاستقلال .[3]

يعتبر هذا المؤتمر هو أول مؤتمر دولي عقد بشأن القضية المغربية، حيث تم نقله من نطاق المنافسات المحدودة إلى الساحة الدولية العامة[4]، شاركت فيه ثلاثة عشر دولة كل مع وفودها هي: ألمانيا، النمسا–المجر، فرنسا، إنجلترا، روسيا، إسبانيا، إيطاليا، أمريكا،

[1] علال الخديمي، المغرب في مواجهة التحديات الخارجية (1851–1947)، دراسة في تاريخ العلاقات الدولية، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2011، ص95.

[2] شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص323.

[3] عبد الكريم غلاب ، المرجع السابق، ص 118.

[4] الصديق بن العربي، المرجع السابق ، ص 26.

البرتغال، بلجيكا، هولندا، سويسرا، المغرب[1] وذلك بعد كافة الجهود التي بذلها كل من محمد ابن عبد الرحمان والحسن الأول لوقف حماية الدول الأجنبية، كان مكان الاجتماع في مدريد بعد أن رحبت اسبانيا باستضافته في عاصمتها. حيث يمنحها ذلك ميزة بارزة لدى الدول المهتمة بالقضية المغربية رغم أن بعض الدول سعت لعدم وقوعه مثل فرنسا.[2]

هدف هذا المؤتمر إلى معالجة قضايا الحماية الدبلوماسية وحق ملكية الأجانب في المغرب، بالإضافة إلى مسألة تجنيس المغاربة بجنسية أجنبية. ومن الأسباب المباشرة التي أدت إلى انعقاده عدم تطبيق نصوص المعاهدات المتعلقة بالحماية الفردية ،فضلا عن تزايد احتجاجات المغرب على الإفراط الذي تمارسه بعض الدول في استغلال حق الحماية الشخصية الممنوحة للمغاربة، إلى جانب الاختلافات بين الدول الأوربية وتعارض مصالحها.[3]

انتهى المؤتمر في الثالث من جويلية عام 1880م بعد توقيع المفوض المغربي والمفوضين من الدول الأخرى . وبخصوص مقررات المؤتمر لم يتحقق للمغرب أي مما كان يصبوا إليه رغم أن طلباته لم تكن كبيرة بل اقتصر على الدعوة للالتزام بالمعاهدات والاتفاقيات القائمة وعدم تجاوزها أو تأويلها.[4]

عكس هذا المؤتمر كل التناقضات التي كانت بين الدول إذ سعت كل منهما للاستفادة من البقرة الحلوب.[5]

---

[1] Der Dekan : G. huler, Die Marokko- Konferenz algeirar1906 inaugural, dissertation, hohen philosophischen fakultat universitat bern, jakoh bretxhger, zurich, 1913,p.p.25-27.

[2] عبد الكريم غلاب، المرجع السابق، ص 117.

[3] الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص 26.

[4] عبد الوهاب ابن منصور، المرجع السابق، ص104.

[5] عبد الكريم غلاب، المرجع السابق، ص 118.

ثانيا : قرارات المؤتمر وانعكاساتها على الوضع الداخلي في المغرب

نتج عن هذا المؤتمر قرارات تمثلت في إلغاء الامتيازات التي أقرها مؤتمر مدريد لصالح فرنسا، كما تطرق إلى إبطال كافة المعاهدات السرية بين فرنسا ودول الأخرى كما اعترف باستقلال المغرب.[1] وبحق كل من إسبانيا وفرنسا في تنظيم شرطة الموانئ[2] فتم الاتفاق على ان يتولى الفرنسيون الإشراف على قوات الشرطة المغربية في المدن الواقعة على الساحل الأطلنطي فيما منحت للأسبان مهمة الأشراف على قوات الشرطة في تطوان والعرائش، أما شركة طنجة فكانت تحت إشراف الدولتين معا.[3]

من خلال هذه القرارات نلاحظ أن فرنسا منحت امتيازات مهمة من منطلق مجاورة المغرب للجزائر، فمنحها كذلك الأولوية في إنشاء بنك بالمغرب.[4] أما فيما يتعلق بالقضايا الاقتصادية والمالية. تم تبني فكرة التدوين لضمان وجود رقابة دولية تضمن حماية أموال وممتلكات الأجانب. كما تم التأكيد على مبدأ تكافؤ الفرص لجميع الأطراف في المجال الاقتصادي، مع الالتزام بالامتيازات السابقة التي حصلت عليها الدول الأوروبية.

كذلك قرر المؤتمر منع دخول السلاح إلى المغرب، واتخاذ تدابير تهدف إلى الحد من تسلح القبائل وضمان أمن الأجانب.[5] إذ كانت الدول قد صادقت على هذه المعاهدة فإن فإن الشعب المغربي لم يقتنع بمضمونها، فهي على الرغم من أنها تخلصت من بعض المخاطر إلا أنها منحت فرنسا مركزا متميزا لا يرغب المغاربة بالاعتراف به لها ولا لغيرها لأنهم يعتبرون جميع الأجانب متساوين[6] رغم تأكيد هذه المعاهدة على سيادة واستقلال

---

[1] علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، دار الطباعة المغربية، تطوان، ص95.

[2] ألبير عياش، المرجع السابق، ص56.

[3] شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص324.

[4] علال الخديمي، المغرب في مواجهة التحديات الخارجية (1851-1947)، المرجع السابق، ص95.

[5] شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص324.

[6] علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، المصدر السابق، ص95.

السلطان فإن المغرب فقد مع ذلك استقلاله الاقتصادي والمالي وأصبح عرضة لخسارة جزء من سيادته نتيجة خضوعه لنوع من الحماية الدولية[1].

خيبت قرارات المؤتمر آمال المغاربة فيما تعلق بالموقف الألماني خاصة ومواقف الدول الأخرى بشكل عام. فقد اشتغل الدبلوماسيون بمحاولة حل الخلافات بين ألمانيا و فرنسا[2] كما تجلت الصراعات والمطامع بين الدول المشاركة، مما حوله إلى ساحة لمناورات القوى الاستعمارية[3] ولم يعطوا اهتماما كافيا في البحث عن الحلول الممكنة لدعم المغرب بل لأسوء من ذلك أنهم دفعوا المغاربة نحو التعاون مع الدولتين (فرنسا وإسبانيا) اللتين كانتا تسعى لاحتلال أراضيها .[4]

لقد زاد المؤتمر من تعقيد القضية المغربية وأدرك المغاربة أن هذا المؤتمر يعد بداية لاحتلال بلادهم. مما دفعهم إلى الإصرار على الرفض. ومقاومة الطامعين وانعكس ذلك على علاقتهم بالأجانب بصفة عامة والفرنسيين بصفة خاصة وتحوله لعداء شديد. وفتح الأفق لمزيد من الأحداث الدموية التي أضحت تهدد الأوروبيون[5] ونظرا لتورط المولى عبد العزيز في المصادقة على ما قام به ممثلو هذا المؤتمر ولعدم قدرته على وضع حد لهذا التغلغل أصبح من الضروري لشعبه أن يثور[6] وكان هذا المؤتمر نهاية الأمان الذي يعيشه الأوروبيون في البلاد.[7]

---

[1] ألبير عياش، المرجع السابق، ص56.

[2] علال الخديمي، المغرب في مواجهة التحديات الخارجية (1851-1947)، المرجع السابق، ص95.

[3] فادية عبد العزيز قطعاني، المرجع السابق، ص44.

[4] علال الخديمي، المغرب في مواجهة التحديات الخارجية (1851-1947)، المرجع السابق، ص95.

[5] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب (1894-1915)، المرجع السابق، ص ص78-80.

[6] علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، المصدر السابق، ص95.

[7] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب (1894-1915)، المرجع السابق، ص218.

المبحث الثالث: المستجدات الاقتصادية والسياسية بالمغرب وانعكاساتها على المغاربة عموما وساكنة الشاوية بشكل خاص.

شهدت منطقة الشاوية خلال الفترة المدروسة تصاعدا ملحوظا في الاضطرابات مما أسهم بشكل كبير في اندلاع الانتفاضة فقد تدهورت الأوضاع المعيشية بصورة واضحة نتيجة تفاقم الفقر والمجاعة مما أثر سلبا على حياة السكان اليومية هذا الوضع المأساوي خلق بيئة مناسبة لنمو حركات التمرد التي اتخذت أشكالا متعددة من المقاومة سواء كانت عنيفة أو سلمية تعبيرا عن رفض السياسات الاستعمارية الجائرة . في سياق هذه الأحداث شهدت المنطقة حالة من الانفلات الأمني تجسدت في تصاعد ظاهرة الاغتيالات التي استهدفت شخصيات متنوعة الأمر الذي زاد من حدة التوتر وتعميق حالة عدم الاستقرار. كما كان لاحتلال مدينة الدار البيضاء من قبل القوات الفرنسية تأثير بالغ على نفسية السكان نظرا لكونها إحدى أبرز المدن المغربية وقد شكل هذا الاحتلال نقطة تحول حاسمة أدت إلى تصعيد الأحداث وامتداد شرارة الانتفاضة إلى مختلف مناطق المغرب .

أولا: تدهور الأوضاع المعيشية بالشاوية:

ازدادت حالة الفقر بين غالبية السكان وتدهورت الروابط الاجتماعية بين القبائل مما ساهم من تدني المستوى المعيشي لدى الكثيرين. كما تفاقمت الأوضاع بسبب الكوارث الطبيعية مثل: الجفاف وهجمات الجراد التي اجتاحت المغرب خلال القرن التاسع عشر مما تسبب في حدوث أضرار جسيمة خصوصا في المناطق الزراعية مثل الشاوية،[1] التي انتشرت فيها المجاعة والقحط خاصة ما بين عامي 1905-1907م مما أدى إلى ندرة الحبوب وارتفاع معدلات التضخم المالي مع ارتفاع الأسعار بشكل ملحوظ. كل هذه الأوضاع أدت إلى تفشي البطالة وزيادة عدد الضحايا الذين ماتوا جوعا، كما اجتاحت تلك

[1] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب (1894-1915)، المرجع السابق، ص160.

الفترة أوبئة خطيرة مثل: الجذري والتيفوس مما أدى إلى خسائر في الأرواح[1] فازداد بؤس أهل الشاوية.

بناء على ما ذكر أعلاه باتت جاهزية ساكنة الشاوية لمقاومة الاحتلال الفرنسي.[2] خاصة أن السلطان عبد العزيز كان يكره أهل الشاوية وبهذا الصدد يقول صاحب كتاب المفاكهة ما نصه : "...**وما نظر إليهم قط بنظرة رضا بل ما كان يسميهم إلا بالفساد والنهاب، ويغري عليهم من بجوارهم من القبائل لسبي ذراريهم وتشتيت أموالهم**" ويقصد الكاتب أن السلطان كان يكرههم وينعتهم بالفاسدين واللصوص.[3]

لم يستوعب ساكنة الشاوية كره وبغض الملك لهم بالرغم أن الكثير منهم قاموا بدفع مستحقات مالية تهرب منها الآخرون كما قام بتنفيذ كل ما كان يطلبه المخزن من قبيلتهم فتحملوا بذلك أعباء مالية وإدارية أثقلت كاهلهم،[4] وقد أرجعت بعض الروايات التاريخية سبب كره الملك لهم إلا أن أهل الشاوية كانوا يميلون إلى أخيه وخليفته في مراكش المولى عبد الحفيظ بإعتبار والدته منهم.[5] وهذا ما تبلور بعد أيام من انتفاضة الشاوية وهو ماسمي بالانقلاب الأبيض.[6]

قام المخزن المغربي بإجراء إصلاحات جبائية، كانت أولى خطواتها تحت قيادة السلطان الحسن الأول، الذي أضاف إلى الزكاة والأعشار ضريبة جديدة تعرف بضريبة

---

[1] أحمد زيادي، انتفاضة الشاوية سنة 1907 (دراسة وثائق تاريخية ملاحق أدبية)، ط1، دار قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1996، ص12.

[2] محمد بو جميل، المرجع السابق، ص56.

[3] أحمد زيادي، المرجع السابق، ص12.

[4] الطيب بياض، المخزن والضريبة، المرجع السابق، ص60.

[5] أحمد زيادي، المرجع السابق، ص ص12-13. للإطلاع على صورة المولى عبد الحفيظ. ينظر: الملحق رقم 5، ص 119.

[6] عبد الكريم غلاب، المرجع السابق، ص152.

الترتيب.[1] ثم بوفاة الحاجب با حمد، بدأ العهد الحقيقي لحكم السلطان عبد العزيز.[2] إذ وجد نفسه في حالة من العزلة والتجرد نتيجة للتحديات المالية التي تحولت إلى أزمة مزمنة وحاول السلطان تجاوز محنته[3] فتوصل السلطان بعد الاتفاق مع حكومته إلى فرض ضريبة الترتيب التي أوصى بها مؤتمر مدريد عام 1880م، وبموجب ذلك تم إلغاء جميع الضرائب الشرعية[4] الشرعية[4] أي الأعشار الواجبة من المحاصيل والزكاة التي تمثل 2.5% من قيمة الماشية وذلك ابتداء من سنة 1901[5] فأصدر نشرة تؤكد عزمه على تقديم ضريبة عامة سنوية يلزم بدفعها جميع رعايا مملكته، سواء كانوا من الأفراد المتميزين أو عامة الشعب أغنياء أم فقراء، مدنين أو عسكريين، بالإضافة إلى الأجانب والمقيمين والمحميين من طرفهم، وستحدد قيمة هذه الضريبة بناءا على المقدرة المالية لكل فرد[6] تتضمن البهائم والمواشي، بالإضافة إلى الزراعة المحصولية، والبحائر، والسواني، فضلاً عن الأشجار بمختلف أنواعها.[7]

كما سعى عبد العزيز من خلال هذا الإجراءات إلى اعتماد سياسية عادلة تجاه الرعية وحل النزاعات بين الحكام والمحكومين في القبائل، والحفاظ على مصالح السكان وتنمية إنتاجهم، والحد من التهرب من دفع الضرائب ولتحقيق هذا الهدف، ألغى نظام الامتيازات والإعفاءات التي كان يستفيد منها الأفراد ذو الحيثيات الخاصة.[8]

---

[1] محمد اقسقوس، النظام الجبائي في المغرب نهاية القرن 13هـ/19م وبداية القرن14هـ/20م، حالة الزكاة والترتيب، مجلة عصور، مج:19، ع:7، –كلية الآداب ابن الازهر، أكادير، جوان 2020، ص158.

[2] كريدية إبراهيم، المرجع السابق، ص25.

[3] محمد اقسقوس، المرجع السابق، ص158.

[4] كريدية إبراهيم، المرجع السابق، ص26.

[5] فريدريك وايسجربر، المصدر السابق، ص126.

[6] كريدية إبراهيم، المرجع السابق، ص26.

[7] محمد القبلي، تاريخ المغرب تحيين وتركيب، ط1، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط ، 2011، ص503.

[8] المرجع نفسه، ص501.

كان الهدف الأساسي من هذا الترتيب الجديد هو توفير مصادر دخل لبيت المال من خلال إجراءات قانونية[1] فتم تشكيل لجان متخصصة لتنفيذ مشروع الترتيب، وقد وكلت إليها مهمة إجراء إحصاء شامل للممتلكات كالأراضي الزراعية والبهائم... الخ، كما تم تحديد الواجبات وفقا للتعريف الذي وضعه النظام، حيث تم حصر دور القواد في الحفاظ على الأمن من خلال تأمين الطرق وتنفيذ أوامر المخزن بإجراء الأحكام مع منعهم من فرض الضرائب وجبايتها.[2]

كان بالإمكان تنفيذ هذا التغيير بسهولة ودون صعوبات تذكر لو توفرت الظروف المناسبة للعمل دون التأخير إلا أن تطبيق هذا المشروع على جميع المغاربة والأجانب، كان من الضروري أن تحظى بموافقة الهيئات الدبلوماسية في طنجة، مما استدعى القيام بعدد من المشاورات المطولة[3] في المقابل، قام عبد العزيز منذ عام 1901م بإلغاء جميع الضرائب القديمة ومع استمرار النفقات الباهظة، لهذا وجد نفسه محروما من جزء كبير من إيراداته. وبعد حصوله على الترخيص الدولي واجه تحديا كبيرا تمثل في صعوبة إقناع القبائل بأهمية دفع الضرائب بعد أن اعتادت عدم الالتزام بدفع أي شي.[4]

تزامن مع كل هذه المستجدات ظهور المعارضة من قبل بعض علماء الدين الذين اعتبروا أن أي عمل أو إجراء يقوم به المخزن، والذي لا يتماشى مع الشريعة الإسلامية باطلا وغير مقبول حتى وإن كان يحقق مصلحة كبيرة للمسلمين. كما أقروا بضرورة وقف أي نوع من التعاون مع الجهات الأجنبية. بغض النظر عن الفوائد التي قد تقدمها.[5]

---

[1] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص30.

[2] محمد القبلي، المرجع السابق، ص502.

[3] فريدريك وايسجربر، المصدر السابق، ص125.

[4] ألبير عياش، المرجع السابق، ص56.

[5] كريدية إبراهيم، المرجع السابق، ص28.

كما قوبل هذا المشروع أيضا بمعارضة شديدة من قبل الأشخاص الذين كانوا يتمتعون بالامتيازات، بما في ذلك القواد والنبلاء ورجال الزوايا. فقد أدت تلك الإجراءات إلى إلغاء امتيازاتهم وتقويض مصادر تمويلهم، خاصة بالنسبة للقادة الذين طالت تجاوزاتهم. فقد استخدمت هذه الشخصيات كل ما لديها من نفوذ للتأثير على المجتمع، مدعية أن هذا الترتيب يعد بدعة ومخالفة للشريعة.[1]

ثانيا: انتشار حركات التمرد:

نتج عن كثرة الاضطرابات والفوضى[2] التي شهدتها بعض الأقاليم، إلى اندلاع انتفاضة عامة تشكلت منذ أواخر عام 1903م، حيث امتدت من منطقة سوس في الجنوب إلى ضواحي طنجة وتطوان في الشمال مرورا بالحوز والسهول الوسطى. في وقت كان فيه المغرب الشرقي يشهد إضطربات شديدة. وقد أسفرت هذه الأحداث عن تدمير العمران وهلاك الأرواح، ونفاذ الأموال، وارتباك الأوضاع[3] على الرغم من وجود دراسات أثبتت أن الشعب المغربي قد أعرب عن استحسانه لهذا الترتيب. حيث ساهم في تحقيق تعدد الرسوم وتعسف القواد.[4]

فقد اتفق معظم المؤرخين، سواء المغاربة أو الأجانب على أن حالة التفكك والانقسام والفوضى التي سادت البلاد مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أدت إلى ظهور حركات تمرد وعصيان في مختلف أنحاء المغرب. بدءا من السوس في الجنوب

[1] علال الخديمي، المغرب في مواجهة تحديات، المرجع السابق، ص31.
[2] محمد اقسقوس، المرجع السابق، ص158.
[3] علال الخديمي، المغرب في مواجهة تحديات، المرجع السابق، ص32.
[4] محمد القبلي، المرجع السابق، ص502.

وصولاً إلى طنجة[1] وتطوان في الشمال. ويعتبر تحرك كل من بوحمارة وأحمد الريسوني جزءا من هذه الحركات[2]

في البداية برزت الحركة المعروفة بحركة بوحمارة في شرق المغرب خلال أواخر عام 1902.[3] كان مدبر الثورة وزعيمها هو الروكي.[4] الجيلاني بن عبد السلام اليوسفي.[5] وقد احتج هذا الأخير بالعديد من الأسباب للإعلان على الانتفاضة. لعل من أهمها نذكر:

- صغر سن السلطان عبد العزيز الذي يمثل جزء من أزمة الفساد والتسرب[6] بالإضافة إلى قيامه بأعمال تنقص من هيبته لأن الأوروبيون استغلوا حاجته الطفولية للعب والترفيه وانبهاره بالمنتجات الأوروبية، لإشغاله عن شؤون دولته فقدموا له سلعا رديئة بأسعار مرتفعة وكميات كبيرة، تضمنت الدراجات وآلات التصوير ... الخ والتي كانت تتناثر في القصر حتى تتعرض للتلف.

- أحيط بمجموعة من راكيبي السيارات واللاعبين والمصورين، حيث تم التقاط العديد من الصور له وهو يرتدي ملابس أوروبية. وقد قام اليهود ببيع هذه الصور في مختلف أنحاء

---

[1] **طنجة:** من أقدم المدن المغربية التي لعبت أدوار هامة في تاريخ المغرب القديم والحديث، تقع في رأس بوغاز جبل طارق بين البحر الأطلنطي والبحر المتوسط في مقابلة الشاطئ الإسباني. وتوالت عليها عدة حضارات وفئات من القرطاجيون والرومان إلى يومنا هذا. ينظر: الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص ص164-165.

[2] نبيل الطويهري. الحركة الرسونية شمال المغرب نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، دورية كان التاريخية، السنة الحادية عشر، ع: 39، مارس 2018، ص144.

[3] محمد القبلي، المرجع السابق، ص503.

[4] **الروكي:** لقب ينعت به كل مغتصب يروم الوصول إلى الملك بطريق التضليل والفتنة وأول من لقب بهذا النحت الجيلالي السفياني الذي ثار في المغرب أيام السلطان العلوي محمد بن عبد الرحمان فقد إفتتن العامة. ينظر: كريدية إبراهيم، المرجع السابق، ص35.

[5] كريدية إبراهيم، المرجع نفسه، ص35.

[6] محمد الصغير الخلوفي، بوحمارة من الجهاد إلى التأمر المغرب الشرقي والريف من 1900 إلى 1909، دراسة وثائق، دار النشر والمعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1993، ص27.

المغرب. مما أثار استياء المغرب عامة، وبوحمارة بشكل خاص وذلك لقربة من الأجانب و تبذير المال.[1]

- يعتبر بوحمارة رجل زاوية، مما يبرر ضرورة محاربة الكفار الذين استقروا في المناطق الشرقية الشمالية[2] فاستغل التوتر الذي نشأ بين أبناء الحسن الأول بعد وفاته زاعما أنه أحد أبنائه وأنه الأحق بالملك، كما دعا العديد من الناس لبعيته.
- استثمر بوحمارة في الأزمة العصبية التي مرت بها البلاد على الأصعدة المالية والاقتصادية والاجتماعية ليقلب الرأي العام ضد السلطان.[3]

ففي البداية كان يعتقد السلطان أن القضاء على هذه الانتفاضة سيكون مهمة سهلة، إلا أن المناوشات الأولى كشفت له خطورة هذا التمرد ولمواجهة هذه الأخير بذل جهودا كبيرا واستثمر موارد مالية ضخمة[4] وقد أسفرت عن هذه الحوادث حدوث فجوة في خزينة الدولة. مما أدى إلى حاجة ملحة للتمويل الأمر الذي استعدى اللجوء إلى اقتراض من الدول الأجنبية ومثل هذه الخطوة التي ستكلف المغرب عواقب وخيمة.[5]

كما قدمت كل من إسبانيا وفرنسا دعما لحركة بوحمارة بغرض إضعاف الحكومة المغربية. ويتجلى ذلك في استخدام بوحمارة لأسلحة فرنسية الصنع، مقابل إنشاء وكالات تجارية فرنسية في المناطق التي كانت تسيطر عليها كما قامت إسبانيا بتأسيس الشركة

[1] كريدية إبراهيم، المرجع السابق، ص15.
[2] محمد الصغير الخلوفي، المرجع السابق، ص27.
[3] عبد الكريم غلاب، المرجع السابق، ص ص149-150.
[4] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص34.
[5] محمد القبلي، المرجع السابق، ص64.

الإسبانية للمعادن في الريف لاستغلال الموارد المعدنية الموجودة في تلك المناطق، فأعتبر هذا سببا ثانيا في تثبيت أقدام الأجانب.[1]

ثم ظهرت اضطرابات جديدة بنفس القدر من الخطورة التي شاهدناها سابقا في الشمال الغربي للبلاد حيث كان أحمد الريسوني[2] وهو المحرك الرئيسي ورائها بعد أن خرج عن الطاعة[3] فتحول بعد أن كان رجل علم وجهاد إلى محارب بالسلاح بحثا عن الانتقام، وذلك بعد أن تعرضت عائلته للنهب مما أدى لوفاة والدته.[4]

قام الريسوني بتشكيل مجموعة من الشبان بهدف الإغارة على القبائل ومواجهة أوكار اللصوص. وقد اختلف المؤرخون في تقييم أعماله، حيث اعتبرها البعض أعمال نهب، بينما رأى الآخرون أنها جهود خيرة تهدف إلى تطهير المنطقة من اللصوص وحماية المستضعفين وفي نهاية المطاف تعرض للسجن بأمر من الوزير با حمد بعد تزايد الشكاوى ضده. في مدينة الصويرة عام 1895م، وأفرج عنه عام 1905م بفضل وساطة أبناء عمومته لدى النائب السلطاني في طنجة، السيد طريس.[5]

---

[1] هدى حسين موسى، حركة بوحمارة وأثرها في تاريخ المغرب الأقصى (1902–1902)، مجلة كلية التربية الأساسية، مج: 24، ع: 100، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، 2018م، ص280.

[2] **أحمد الريسوني:** هو محمد بن عبد الله الريسوني ولد سنة 1870 بمدشر الزينات الواقع جنوب شرق طنجة، اعتنت أسرته بتعليمه وهو لا يزال طفلاً، بعد وفاة والده سنة 1881 إنتقل إلى مدشر محمولة ببني عروس ليتعمق في دراسة علوم القرآن، وبقي منقطعًا عن الدراسة حتى سنة 1893 حيث اعتدى اللصوص على أسرته ووجد والدته مقتولة من طرفهم فأقسم على أخذ الثأر. ينظر: كريدية إبراهيم، المرجع السابق، ص63.

[3] محمد القبلي، المرجع السابق، ص 504.

[4] محمد بودالي، حياة قنون، الشريف أحمد الريسونى ونشاطه السياسي في منطقة جبالة ما بين (1900 – 1925 من خلال بعض أراء المؤرخين والكتاب)، مجلة أفاق الفكرية، مج: 11، ع: 2، جامعة الجيلالي اليابس بسيدي بلعباس (الجزائر)، ديسمبر 2023، ص50.

[5] كريدية إبراهيم، المرجع السابق، ص64.

لكن عقب خروجه من السجن أستأنف نشاطاته السابقة لكن بشكل أكثر تطورا حيث اعتمد على أساليب ووسائل جديدة في مواجهة المخزن، كما أشارت جل الكتابات التاريخية إلى ذلك فقد ذكرت أنه تبنى سياسة صارمة اتجاه القبائل الجبلية. كما أقام علاقات دبلوماسية مع الدول الأوروبية مما أدى إلى ممارسة الضغط على الحكومة والتدخل في شؤون البلاد.

كذلك اعتمد على سياسة الاختطاف[1] من بين من نفذ فيهم هذه المهمة الصحفي البريطاني ولتر هاريس (walter burton harris) يعتبر هذا الأخير من بين أثرياء أمريكا من أصول إغريقية[2] أدت هذه الواقعة إلى بروز مشاكل، دبلوماسية خطيرة للمخزن[3] وقد اشترط الريسوني بتنفيذ العديد من الشروط لإطلاق سراحه وعندما علمت بريطانيا بالأمر تقدمت بشكوى عبر وزيرها محملة المخزن المغربي المسؤولية لما حدث لفارلي[4] كما أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية في فترة حكم روزفلت سفنا إلى المياه المغربية مما أثار حالة من الرعب والقلق[5]

لقد أثار هذا الأمر ردود فعل واسعة في الصحافة الدولية مما زاد من حدة الضغوطات الخارجية على السلطان الذي اضطر إلى قبول شروط الريسوني[6] فأفرج عنه بعد بعد شهرين بعد أن عين عاملاً على جميع القبائل الواقعة في الشمال الغربي، كما حصل

[1] نبيل طويهري، الحركة الريسونية شمال المغرب نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، دورية كان التاريخية، السنة الحادية عشر، ع: 39، مارس 2018، ص ص 144-145.

[2] محمد القبلي، المرجع السابق، ص504.

[3] عبد الكريم غلاب، المرجع السابق، ص151.

[4] نبيل طويهري، المرجع السابق، ص145.

[5] عبد الكريم غلاب، المرجع السابق، ص151.

[6] نبيل طويهري، المرجع السابق، ص ص 145-147.

على فدية كبيرة، وأفرج أيضا السلطان عن بعض رجاله في سجون المخزن، وسجن بعض أعدائه. كما خلع باشا طنجة[1]

في السياق ذاته تشير بعض المصادر التي تناولت انتفاضة الشاوية إلى أن الشيخ البوعزاوي كان من المحرضين الرئيسيين على هذه الانتفاضة، حيث قام بتحريض الناس على مهاجمة الأجانب في الدار البيضاء ودعا إلى مقاومة الاحتلال الفرنسي، وارتبطت دعوته للجهاد بزيارة الشيخ ماء العين[2] إلى فاس، حيث دعا بدوره لمواجهة التدخل الفرنسي لأن مع اتضاح الأطماع الاستعمارية في الصحراء وبلاد شنقيط، برز، اسم الشيخ العينين كمرابط يدعوا للجهاد وتوحيد جهود القبائل الصحراوية من مواجهة التغلغل الأجنبي وقد كان يتردد على المغرب منذ عهد السلطان الحسن الأول. [3]

قام ماء العينين عام 1906م برفقة مجموعة من أعوانه المجاهدين بزيارة عدد من المدن المغربية البارزة آنذاك حيث سعى إلى جمع الدعم من الرجال والأموال والأسلحة لمواصلة مقاومتهم للاحتلال الفرنسي في شنقيط[4] تزامنت زيارته مع موجة من الاضطرابات والتوترات في المغرب. التي نتجت عن إعلان مؤتمر الجزيرة الخضراء. وقد أسهم ذلك في زيادة تحريضه على الجهاد ضد الفرنسيين. مما أثار حماس الجمهور ولا سيما في صفوف الحوز والشاوية،[5] فخلال السنة المذكور أعلاه شهدت مدينة الدار البيضاء اضطرابات أمنية

---

[1] فريد ريك وايسجربر، المصدر السابق، ص 126.

[2] **ماء العينين:** هو محمد مصطفى ماء العين بن محمد الشنقيطي ولد في08 فيفري 1831، ذهب للحج، وهو الذي بنى مدينة السمارة في الصحراء الغربية بإعانة من السلطان المغربي عبد العزيز سنة 1361هـ ولما أراد الفرنسيون، دخول بلاد شنقيط أرسل إلى القبائل يدعوهم إلى الدفاع عن أنفسهم. ينظر: ماء العينين بن العتيق الرحلة المعينية 1938، تح: محمد الظريف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2006، ص40.

[3] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص ص 193-195.

[4] أحمد زيادي، المرجع السابق، ص14.

[5] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص194.

بسب مرور رجال ماء العين المعروفين بالرجال الزرق. ومع اقتراب نهاية هذا العام، قامت العديد من القبائل بطرد قادتها.[1]

أما في ما يخص التحريضات الخارجية الأخرى كانت هناك دعاية من ألمانيا مضادة للفرنسيين لأن هناك علاقة بين ألمانيا والمغرب يسعى كل طرف منهما لتحقيق مصالحه من خلالها فقد اتخذت ألمانيا من المغرب وسيلة لصناعة التوازن في سياستها وضمان مصالحها الحيوية[2] فأولت ألمانيا اهتماما خاصا بالمغرب لا سيما مع تزايد التبادلات التجارية والعسكرية بين الجانبين منذ عهد السلطان الحسن الأول (1875-1894م).[3] قتم توقيع أول اتفاقية تجارية بين الطرفين خلال عام 1890م.[4] رغم وجود بعض التوترات في العلاقات المغربية الألمانية خلال فترة الوزير أحمد بن موسى (1894-1900م).

كما شهد بداية القرن العشرين تعاونا بين البلدين ثم بعد إبرام فرسا لعدة اتفاقيات بهدف التدخل السلمي بالمغرب.[5] لم يرتح بال لألمانيا وهي تشهد النفوذ الفرنسي بالمغرب يتسع[6] فبدأت ملامح السياسة الألمانية العديدة تجاه المغرب تتبلور وتتأكد. حيث سعت إلى الإستفادة من أي خلاف نشأ بين الطرفين المغربي والفرنسي.[7] لفهم السياق التاريخي للأحداث نعرض مثال على ذلك: "**استغل الألمان الوضع فقاموا بتحريض الشاوية على**

[1] فريد ريك وايسجربر، المصدر السابق، ص138.

[2] سراب جبار خورشيد، العلاقات المغربية الإسبانية والتدخل الأمريكي (قضايا شائكة)، المجلة الأكاديمية للبحوث القانونية والسياسية، مج: 06، ع: 2، الجامعة المستنصرية، العراق، 2002م، ص67.

[3] علال الخديمي، المغرب في مواجهة التحديات، المرجع السابق، ص 94.

[4] سراب جبار خورشيد، المرجع السابق، ص72.

[5] علال الخديمي، المغرب في مواجهة التحديات، المرجع السابق، ص94.

[6] عبد الكريم غلاب، المرجع السابق، ص139.

[7] علال الخديمي، المغرب في مواجهة التحديات، المرجع السابق، ص94.

التمرد. فروجوا لأخبار تفيد بأن السلطان قد باع البلاد للفرنسيين"، وثم بعد ذلك تمكن الفرنسيون من السيطرة على الجمارك وميناء وبناء سكة حديدية تشمل عملية توغلهم.[1]

ثالثا: كثرة الاغتيالات واحتلال الدار البيضاء:

بعد انعقاد مؤتمر الجزيرة الخضراء، تزايدت حوادث تعرض من خلالها الأجانب للعديد من المضايقات من طرف بعض المغاربة. مثل الشاوية مما جعلهم يطالبون بتعويضات.[2] بهذا الشكل بدأ الأوروبيون وخاصة الفرنسيون الذين كانوا يتمتعون بالأمن الكامل والحرية المطلقة، يتعرضون للمضايقات والاختطاف بل حتى القتل، وكان المغاربة يعبرون من خلال ذلك عن رفضهم للاحتلال، ونتيجة لتصرفات غير محسوبة من الفرنسيين تعرض أحد التجار للإصابة في مدينة الحوز بينما تعرض الآخر لهجوم في فاس.

كذلك من بين هذه الحوادث، مقتل أحد المواطنين الفرنسيين اسمه شربوني (sharbuni) على شاطئ طنجة يوم 27 ماي 1907م. وهو موظف في أحد البنوك بمدينة طنجة وقد استغل الفرنسيون هذه الحادثة للضغط على المخزن، مطالبين بتقديم تعويضات وامتيازات تسهم في تعزيز نفوذهم ويعد هذا الأمر تجسيدا واضحا لسياسة الإبتزار التي انتهجتها فرنسا اتجاه المغرب.[3]

أما مقتل الدكتور موشان (moshan) يوم 19 مارس 1907م.[4] في مدينة مراكش فقد فقد تعددت الروايات حول واقعة اغتياله، حيث تناولت بعض الروايات تبرير الإجراءات الفرنسية المتخذة بعد الحادثة، وفي المقابل أشارت روايات أخرى بشكل واضح إلى عنف المغاربة وبطشهم فحاولت إلصاق التهمة بباشا مراكش.

---

[1] أحمد زيادي، المرجع السابق، ص12.

[2] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص ص77-78.

[3] علال الخديمي، المرجع نفسه، ص89.

[4] أحمد زيادي، المرجع السابق، ص15.

فمع أواخر عام 1905م قررت الحكومة الفرنسية تعزيز نفوذها في المغرب من خلال[1] إنشاء مستوصفات اعتقادا منها بأن هذه الخطوة تعد من أنجح الوسائل للتدخل السلمي في المنطقة، فقد قامت الحكومة بفتح مراكز صحية وأوكلت إدارتها لأطباء،[2] تم تعيينهم لأغراض سياسية أو عسكرية أو دبلوماسية أو تجسسية، حيث تم تكليفهم بالتوغل داخل البلاد والتفاعل مع مختلف شرائح المجتمع.[3]هؤلاء كانوا تابعين لوزارة الخارجية في عدة مناطق بما في ذلك الدار البيضاء ومراكش وقد تم تكليف موشان بإدارة المركز في مراكش مما أتاح له فرصة كسب ثقة العديد من الشخصيات المحلية حيث ساهمت الظروف السائدة في عام 1906م من انتشار الأمراض والأوبئة، في تعزيز جهوده وأشيع على أنه مبعوث فرنسي و جاسوس بهدف التحضير للغزو الفرنسي القادم وهذا بسبب اصطدامه بالمغاربة.[4]

كما ربطت بعض الروايات التاريخية هذه الحادثة بالمنافسات الاقتصادية والمعارضة الإصلاحية لبعض التجار والصناع. في حين ذهبت بعض الروايات الأخرى إلا أن السبب الرئيسي لاغتياله يعود إلى رفع العلم الفرنسي في شرفة منزله ولم يكن مسموحا منذ العصور القديمة برفع الأعلام الأجنبية إلا للقناصل ومع ذلك قام الدكتور موشان مما أدى إلى اندلاع موجة من الغضب بين أفراد الشعب المغربي[5] فتجمع حوله مجموعة من الناس واعتدوا عليه ضربا بالحجارة والعصي، ثم تركوا جثته ملقاة على الأرض أمام باب منزله.[6]

أبلغ المولى عبد العزيز كافة الدول بأن المغاربة ليسوا مسؤولين عن قتل الدكتور وطلب منهم تشكيل لجنة تضم شخصيات من الدول الأوروبية للتحقيق في هذه القضية، وقد

---

[1] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص ص 92-93.

[2] المرجع نفسه، ص93.

[3] محمد بوجميل، المرجع السابق، ص56.

[4] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص 09.

[5] محمد بن عبد السلام ابن عبود، تاريخ المغرب، ج 2، المطبعة المهدية، تطوان، 1951، ص 193.

[6] عبد الرحمن ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تح: علي عمر، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م، ص483.

أسفرت التحقيقات على أن الشخص الذي أغرى المغاربة وحرضهم على قتل الدكتور هو رجل ألماني. بعدها تم احتجاز خمسة عشر شخصا من المغاربة المسؤولين عن هذه الحادثة،[1]

شكل مقتل الدكتور الفرنسي نقطة تحول حاسمة، حيث سرعان ما آثار هذا الحادث ردود فعل قوية من جانب فرنسا التي أطلقت حملة دعائية مضادة[2] وهذا لإثارة الرأي العام الأوروبي ضد المغرب[3] داعيا إلى تحميل المخزن المسؤولية والمطالبة بالمساءلة[4] وبالتالي أخذت فرنسا من قضية اغتيال الدكتور ذريعة لاحتلال وجدة ونواحيها[5] تم احتلالها مؤقتا في في 25 مارس 1907م، وقد تم إبلاغ الدول الأخرى بهذا القرار الذي يعتبر ساريا اعتبارا من 29 مارس.[6]

اعتقد المخزن أن هذا الأمر سينتهي بمجرد تلبية مطالب فرنسا التي تتمثل في عزل وسجن باشا مراكش بسبب عدم قدرته على حماية الأجانب، وإجراء تحقيق في حادث القتل بإشراف القنصل الفرنسي، ومعاقبة الجناة وتعويض أسرة الفقيد. بالإضافة إلى ذلك، يتعين تنظيم جهاز الشرطة المغربي وفقا لما بنص عليه ميثاق الجزيرة. ومن الواضح أن فرنسا لم تكن جادة في التزامها بالانسحاب من المغرب.[7] لأنه بمثابة القاعدة التي انطلق منها الفرنسيون للتوسع.[8]

---

[1] محمد بن عبد السلام ابن عبود، المرجع السابق، ص ص 113-114.

[2] علال الخديمي، المغرب في مواجهة التحديات، المرجع السابق، ص88.

[3] دادي دارية، احتلال مدينتي وجدة والدار البيضاء سنة 1907 دراسة مقارنة، أعمال الحلقة الدراسية: الدار البيضاء في مائة سنة 1907 – 2007، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، 2010، ص18.

[4] علال الخديمي، المغرب في مواجهة التحديات، المرجع السابق، ص88.

[5] محمد بوجميل، المرجع السابق، ص56.

[6] علال الخديمي، المغرب في مواجهة التحديات، المرجع السابق، ص 88.

[7] شوقي عط االله الجمل، المرجع السابق، ص326.

[8] فادية عبد العزيز القطعاني، المرجع السابق، ص44.

ورغم قسوة هذه المطالب لم يكن أمام المخزن خيار آخر سوى قبولها وقد أدى ذلك إلى ردود فعل شعبية واسعة وانتشار مشاعر السخط والاضطراب بسبب وقوع الاحتلال دون مواجهة تذكر مما جعل البعض يشكك في نوايا المخزن ويعتقد بأنه تواطأ وقبل هذا الاحتلال كذلك تصاعد العداء اتجاه فرنسا[1] فمنذ احتلال وجدة أصبحت الشاوية تشكل تهديدا للأوروبيين في الدار البيضاء وذلك بشكل خاص للفرنسيين.[2]

وبهذا يعد مؤتمر الجزيرة الخضراء وتدخل فرنسا في الشؤون المالية للمغرب ثم احتلال مدينة وجدة، أسبا في انتشار حالة من الغصب بين المغاربة تجاه الأجانب، في الوقت نفسه، استاء المغاربة من السلطان عبد العزيز الذي اقترض أموالا من الأجانب، مما ألقى بثقل كبير على كاهل البلاد كما منح المراقبين الفرنسيين حق المشاركة في تحصيل إيرادات الدوائر المالية.

نتيجة لذلك تزايدت رغبة العديد من القبائل خاصة الشاوية المحيطة بالدار البيضاء في الاعتماد على أنفسهم لمواجهة التغلغل الأوروبي، ولا سيما الفرنسي.[3] وفى عام 1905م دعت فرنسا إلى تجهيز الموانئ بهدف تسهيل وتنشيط التجارة، من بين الأسماء البارزة في هذا المشروع المهندس رينيو (Regnaelt)، الذي قام بوضع مشروع لتطوير ميناء الدار البيضاء، عكس هذا المشروع المصالح الاقتصادية الفرنسية في إطار جهود الاستعمار وعلى الرغم من توقيع العقد في عام 1906م، لم يتم تنفيذ المشروع إلا في عام 1907م لأسباب متعددة[4] فشرع العمل في مشروع بناء الميناء الذي احتاج إلى مقطع من الحجر في موقع

[1] علال الخديمي، المغرب في مواجهة التحديات، المرجع السابق، ص89.

[2] علال الخديمي، مقاومة التدخل الأجنبي في الشاوية وجبال الأطلس، المناهل، ع: 38، ص354.

[3] محمد بن عبد السلام ابن عبود، المرجع السابق، ص114.

[4] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص215.

يبعد عن الدار البيضاء وفي عمق أراضي الشاوية[1] وكان هناك قطار مخصص لنقل هذا الحجر إلى موقع البناء حيث تقول بعض الروايات أن هذه القاطرة تعتبر المحرك الذي أثار الحماسة المدفونة لدى الأشخاص البسطاء.[2]

كما قامت الشركة المسؤولة عن بناء الميناء بفتح بعض القبور لتمديد خط السكك الحديد،[3] هذا ما تسبب في إثارة غضب القبائل باعتبار ذلك إهانة واستفزاز لهم ورمزا لاستيلاء الكفار على البلاد.[4] فأصدر المخزن تعليماته بجلوس المراقبين الأجانب في ديوانات المغرب مثل ديوانة الدار البيضاء، إلى جانب الأمناء المغاربة. بغرض استيفاء ديونهم مباشرة.[5] لرصد الصادرات والواردات، هذا أيضا ما أسفر عنه قلق سكان منطقة الشاوية.

كما حدثت بعض مظاهر العنف،[6] حيث شارك فيها المستخدمون المغاربة، وأسفرت عنها مقتل أحدهم على الأقل بجانب تسعة من الأجانب[7] في حين كانت الدول الاستعمارية جاهزة لاستغلال مثل هذه الفرصة.[8] قررت الحكومة الفرنسية في الثاني من أغسطس إرسال حملة إلى الشاوية كخطوة تهدف إلى محاسبة المسؤولين المعنيين[9] فوجد المندوب الفرنسي في طنجة الفرصة المناسبة لإرسال سفينة حربية كانت راسية في ميناء طنجة إلى الدار

---

[1] محمد ابن عبد السلام ابن عبود، المرجع السابق، ص114.

[2] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص216.

[3] محمد ابن عبد السلام ابن عبود، المرجع السابق، ص114.

[4] أمل عجيل، قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم (ليبيا، السودان، المغرب)، مج: 19-20، 1998-1999، ص154.

[5] أحمد زيادي، المرجع السابق، ص 09.

[6] علال الخديمي، مقاومة التدخل الأجنبي في الشاوية وجبال الأطلس، المرجع السابق، ص354.

[7] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص216.

[8] علال الخديمي، مقاومة التدخل الأجنبي في الشاوية وجبال الأطلس، المرجع السابق، ص355.

[9] علال الخديمي، المغرب في مواجهة التحديات، المرجع السابق، ص99.

البيضاء مع توجيه التعليمات لها بالتدخل العسكري عند اقتراب الفرصة[1] مدعية من وراء هذا هذا الحفاظ على أمن المدينة[2] وإذا قام أحدهم بأي تصرف عدواني ضدها فستقوم بقصف مدينة الدار البيضاء ومع هذا فقد اندلع اشتباك بين القوات التي نزلت على اليابسة والجيش المغربي وفي اليوم نفسه، وصلت بارجة حربية أخرى تحمل على متنها جنودا وشرعت في قصف المدينة، ثم وصلت أيضا بارجة إسبانية أخرى في ذات اليوم وقامت أيضا بقصف الدار البيضاء[3] توسعت التوغل الفرنسي بالتوازي مع زيادة المقاومة الشعبية لتشمل جميع قبائل الشاوية.[4]

من خلال ما تم عرضه من معطيات تاريخية يمكننا الخروج بمجموعة من الاستنتاجات لعل من أهمها نذكر:

- شكلت الامتيازات الأجنبية وخصوصا الحماية القنصلية تهديدا مباشرا لسيادة المغرب خاصة في منطقة الشاوية.
- ساهمت المعاهدات والاتفاقيات غير المتكافئة المبرمة مع الدول الأوروبية في أضعاف السلطة المركزية المغربية مما أفسح المجال للتدخلات الأجنبية.
- لعب مؤتمر الجزيرة الخضراء دورا حاسما في تنظيم وتجسيد السيطرة الأجنبية على المغرب، مما أسهم في تصاعد التوترات الداخلية وقد تجسدت التداعيات السلبية لقرارات المؤتمر على الأوضاع العامة في البلاد خاصة في منطقة الشاوية حيث تزايدت مظاهر التذمر الشعبي بشكل ملحوظ.
- عانى سكان الشاوية من تدهور كبير في مستويات معيشتهم مما عزز شعورهم بالظلم والاستياء.

---

[1] علال الخديمي، المغرب في مواجهة التحديات، المرجع السابق، ص99.

[2] محمد بوجميل، المرجع السابق، ص56.

[3] محمد بن عبد السلام، المرجع السابق، ص115.

[4] علال الخديمي، المغرب في مواجهة التحديات، المرجع السابق، ص99.

- أدت الاضطرابات المتزايدة بما في ذلك الثورات والاغتيالات إلى خلق أجواء من عدم الاستقرار وساهمت في تحفيز السكان على الانتفاض. كما ان احتلال الدار البيضاء كان بمثابة صدمة قوية أو بمثابة القطرة التي أفاضت الكأس
- شكلت هذه الانتفاضة تعبيرا واضحا لسخط الجماهير.

الفصل الثاني: المقاومة المسلحة في بلاد الشاوية ضد التوسع الفرنسي (1907-1908)

المبحث الأول: انتفاضة قبائل الشاوية في عهد الجنرال درود (Drod) 1907م

أولا: المسار الأول للمقاومة الشعبية

1. التنظيم والتخطيط للمقاومة

2. التعبئة الشعبية

ثانيا: انتفاضات صيف 1907م

1. قصف الدار البيضاء

2. رد قبائل الشاوية على هذا القصف

المبحث الثاني: تطور الانتفاضة في عهد الجنرال داماد (Damad) 1908م

أولا: سياسة داماد لإجهاض العمل المسلح

1. إستراتيجية داماد الأولى

2. تغيير داماد لخططه العسكرية

ثانيا: تطور أحداث الانتفاضة نهاية شهر مارس 1908م

1. تثبيت الاحتلال

2. معارك الغابة

المبحث الأول: انتفاضة قبائل الشاوية في عهد الجنرال درود 1907م

شهدت منطقة الشاوية خلال عامي 1907 و1908 إحدى أبرز حلقات المقاومة المغربية منذ التغلغل الاستعماري الفرنسي. فقد كانت قبائل الشاوية على رأسها أولاد حريز مزاب، المذاكرة، من بين أول المناطق التي واجهت التدخل العسكري الفرنسي، حيث كان الرفض الشعبي واسعا، فاندلعت بذلك معارك شرسة أبرزت شجاعة ومقاومة السكان المحليين في الدفاع عن أرضهم وهويتهم، فهذه الانتفاضة لم تكن وليدة اللحظة بل استندت إلى تاريخ طويل من الرفض للتدخل الأجنبي الذي كان يسعى لفرض سيطرته على المغرب فأظهرت قبائل الشاوية صلابة في مواجهة هذه الأطماع.

أولا: المسار الأول للمقاومة الشعبية

تعد المقاومة الشعبية من أبرز الأساليب النضالية التي مارستها الشعوب والأمم المحتلة من القدم بغية استرجاع سيادتها وحريتها المستلبة فهي بذلك وسيلة من وسائل تحدي الظلم والقهر والاستبداد.[1] أما الانتفاضة هي الفعل الجماهيري المباشر ينشأ عن بلوغ بعض التناقضات الاجتماعية والاقتصادية والقومية ذروتها، توفر وضع ثوري كامل عامل يهيئ لها التحرك ضد سلطة الطبقة الحاكمة أو المستعمرة، تحدث بصورة مفاجئة عندها ويصل الصراع بأنواعه إلى نقطة الغليان التي يصبح عنها من المستحيل تقبل الاستمرار في السلام في الحياة الظروف القائمة[2]. وهي أيضا قيام جماعة كبيرة غالبا ما تكون شعبا كاملا أو إقليما بشتى أنواع الاحتجاجات من مظاهرات واعتصامات واضطرابات بغية تحقيق أهداف

[1] ثامر عبد الغاني سباغنة وعبد السلام عواد، المقاومة الشعبية قرية بيتا نموذجا، التجربة وسبل الاستفادة منها وتعميمها، مركز الزيتونة للدراسات والاستشراف، ص3.

[2] نبيلة جعفري، دور الإعلام الجديد، في انتفاضات الشعوب العربية شبكات التواصل الاجتماعي أنموذجا، جامعة أم البواقي، الجزائر، ص3.

عامة تكون وطنية تحررية، يمكن عدها تمردا أو ثورة كبيرة متى عمت أجزاء كبيرة من الدولة[1]

من خلال هذه التعريفات المختصرة لكل من المقاومة والانتفاضة نلاحظ بأن الأحداث التي مر بها المغرب عموما ومنطقة الشاوية بشكل خاص خلال الفترة قيد الدراسة قد تحمل تسمية انتفاضة في بعض مراحل الصراع، كما يمكننا نحتها بالمقاومة خلال مراحل أخرى.

فقد أعتبر السكان أشغال المراقبين الفرنسيين في ميناء الدار البيضاء بمد خط حديدي وقاطرة لجلب الحجارة ونبش حرمة المقبرة الإسلامية المجاورة وكذا جلوس مراقب فرنسي على الديوانة، كل هذا أعتبره السكان رمزا لاستيلاء الكافر على البلاد والمساس بهويتهم العربية الإسلامية، وهذا الاستفزاز كمن لي طيلة سنتين، وبهذا انتفاضتهم لم تكن عشوائية ولا عصيان بل إحساسا جماعي بالخطر والوعي بحقيقة الواقع المعاش وصرخة شعبية وطنية.

1. التنظيم الأول للانتفاضة:

في الثامن والعشرين من شهر جويلية عام 1907م الموافق لسادس عشر جمادى الثانى سنة 1325هـ، قصد وفد من وجهاء قبائل الشاوية المولى الأمين أبو بكر بن بوزيد[2] بهدف دراسة أسباب التوتر القائم وإيجاد حلول سلمية لها، بخصوص (الشركة الفرنسية والسكة الحديدية التي اعتبروها رمزاً لاستيلاء الكافر على البلاد) إلا أن هذا الأخير، امتنع عن استقبالهم وأجلت مقابلتهم إلى اليوم التالي، وعند عودتهم طال انتظارهم وواصلوا

[1] هواري بلحاج، ثورات الربيع العربي: أسبابها ونتائجها، مجلة الدراسات الحقوقية، مج: 9، ع: 2، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة سعيدة، ديسمبر 2022، ص476.

[2] **أبو بكر البوزيدي:** هو من عائلة سلاوية، انخرط في وظيفة الأمانة منذ 1884، وكذلك أمانة الدار البيضاء وقيادتها حيث تولى قيادتها مرتين أولهما 1889 إلى 1909 والثانية من سنة 1905 إلى 1907 وفي حادثة 30 جويلية 1907 اتهمته فرنسا بالعجز والتآمر ضدها وألقي القبض عليه وسجن بالجزائر. ينظر: علال الخديمي، التدخل الأجنبي، المرجع السابق، ص 277.

استمرارهم على مقابلته فقيل لهم: "**أن الأمير لا يزال نائما ولم يجرؤ أحد على إيقاظه**" فكان هذا الجواب هو الخطوة الأولى لاندلاع أعمال المسلحة.[1]

عقدت القبائل مجموعة من الاجتماعات، واستمرت حالة الترقب والانتظار مع التأهب ورص الصفوف وتعزيز الاستعدادات من خلال تنظيم الحملات وتبادل المعلومات، وفي يوم الثلاثاء، دعا بوبكر بن بوزيد عددا من قناصل الدول الأجنبية والشخصيات السياسية والاقتصادية والإدارية للتشاور حول المستجدات، لكن قنصل فرنسا وجه له توبيخا صارخا مهددا إياه بأسلوب واضح[2] فعلق عن موقف أبي بكر من مطالب السكان أنه كان بإمكانه أن يجيب عن هذه الأوامر بما أجاب به قائد الرباط: "**ليكن نطرد الفرنسيين، أنا معكم لكن السلطان مدين لهم بثمانين مليون يجب أداؤها أولا هل عندكم الأموال؟**".[3]

وفي تمام الساعة 11:00 صباحا يوم 30 جويلية 1907م نادى البراح محمد العربي[4]، لمقاطعة الأجانب وهدد كل من لا يتمثل للإجماع الشعبي حول الوحدة الوطنية كما حذر الفرنسيين طالبا إياهم بمغادرة الوطن، وفي عشية نفس اليوم انطلقت حركة احتجاجية كان سببها مقتل تسعة أجانب عمال في القاطرة وتخريب السكة الحديدية والقاطرة وطرد المراقب الفرنسي.[5]

وردت تفاصيل هذه الحادثة في تقرير قنصل فرنسي الذي ذكر بأن فارسا بدويا كان يتجول في الأزقة وخلفه جماعة من الرعاع وكان يهدد المسيحيين قائلا: "**أن كل من يحاول**

---

[1] أحمد زيادي، المرجع السابق، ص 17.

[2] شعيب حليفي، المرجع السابق، ص 14.

[3] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص 225.

[4] **محمد العربي:** براحا عموميا من أولاد حريز يدعى سحور(Shor) وصفه بوردون على أنه شخص وسخ يوافقه شخص أسود يدعو للجهاد ويندد بالأوربيين بالنصارى والكلاب. ينظر: المرجع نفسه، ص ص 225-226.

[5] شعيب حليفي، المرجع السابق، ص 14.

جلب مواد الغذاء أو الزرع للتجار فإنه سيتعرض للنهب"[1] فاجتمع عدد من زعماء الثوار من أولاد زيان، مديونة[2]، المزامرة، أولاد سعيد، أولاد سيدي بندوب، أولاد البوزيري في تجمعات خطابية هامة[3] بجامع سوق المدينة للبحث فيما يفعلونه فكثر الهرج والضجيج بالمسجد الذي كان غاصا بالناس لأداء صلاة الظهر وعندما حاول أحد الأعيان يدعى أحمد الريح صدهم عما يفعلونه قرر المنتفضون حلق لحيته[4]، فدخلوا في انتفاضة على خيولهم وسيطروا على الأوضاع بالدار البيضاء[5]، فطردوا المراقب الفرنسي من الديوانة وطلب من الجالية الفرنسية مغادرة المدينة فالتجأت للسفن الراسية.[6]

2. التعبئة الشعبية

بدأت سيطرتهم على الأوضاع بالدار البيضاء لهذا انتشر الخبر في 31 جويلية من سنة 1907م بكل نواحي الشاوية التي استجابت للنداء وتأهبت لأي مستجدات، وفي هذا السياق تم تحرير رسالة لتوجيهها إلى جموع القبائل لتنفيذ ما جاء فيها وهذا إشارة للحس الوطني والتنظيم المحكم لها.[7] فجاء نصها كما يلي:

"**الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، إخواننا قبيلة أولاد حريز كافة رعاكم الله والسلام عليكم وبركاته من خير مولانا نصره الله وبعده. فغير خاف عليكم أننا**

---

[1] علال الخديمي، التدخل الاجنبي والمقاومة في المغرب، المرجع السابق، ص 226.

[2] **مديونة:** مركز فلاحي حديث وسط بلاد الشاوية، توجد على مقربة منه قصبة إسماعيلية على بعد 19 كلم جنوب الدار البيضاء. ينظر: الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص 178.

[3] شعيب حليفي، المرجع السابق، ص 14.

[4] دادي دراية، المرجع السابق، ص 25.

[5] **الدار البيضاء:** عاصمة المغرب التجارية وميناء المغرب الأول وأكبر مدينة بالشمال الإفريقي، كانت في القديم تدعى أنفا، نزلت بها القوات الفرنسية سنة 1907م، ونظرا لكثرة الأجانب بها أصبحت عبارة عن مدينة أوربية بمناظرها ومتاجرها. ينظر: الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص 129.

[6] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص 226.

[7] شعيب حليفي، المرجع السابق، ص 15.

كنا تشوفنا لما ظهر وبان بثغر الدار البيضاء ومرساها من جهة بابور البر فيها، ونزول الروم بمرستاها كذلك بعد أن ينصر الله أمرا مفعولاً على يد بعض رجال الإسلام، وقتلوا أصحاب البابور تسعة وفسد عمله كله وخرج الكافر منها الذي كان بالمرسى، وكذلك دائرة الفرنسيين كلها وتجمع من حضره من قبيلة الشاوية وحصل الوفود على الثغر المذكور وغير ذلك من الطرقات والصادر والوارد في قبيلة الشاوية كلها نعين أعلامكم لتكونوا على بال وتتلاقوا مع بعضكم البعض وتعلموا جيرانكم من إخوانا أولاد أبورزك بأن يكونوا ببال وتقدموا للجمع يوم الاثنين الآتية في الصبح ليقع الوفود بين القبائل وتبرحوا في الأسواق وتكونوا على بال بحيث إذ ظهر الشيء في البحر وتكونوا فيه يدا واحدة، وبه الأعلام على الإخوة السلام في 20 جمادى الثاني 1325هـ، (31 يوليوز 1907م)".[1]

تعد هذه الرسالة نموذجا بارزا للخطاب التحريضي والانتفاضة ضد الاستعمار الفرنسي، الذي أصبح يهدد المنطقة، حيث افتتحت الرسالة ببعد ديني البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ما يمنحها الشرعية والرمزية، ويعزز ارتباطها بالخطاب الجهادي، فاعتمدت على أسلوب تعبوي قوي، أبرز التهديد الفرنسي القائم المتمثل في تحركات البوارج الحربية الفرنسية، واستحضرت أمثلة حية لمقاومة بعض رجال الإسلام للدعوة بالاقتداء بهم، محددين العدو بوضوح واصفا إياه بـ "**الكفار**".

كما وجهت الرسالة نداءا مباشرا إلى قبائل الشاوية على رأسها أولاد حريز، طالبين منهم إعلام أولاد أبورزك، وهذا لتوحيد الصفوف وتعبئة المحاربين والتوجه إلى ساحة القتال مما يعكس وعيا تنظيميا متقدما في صفوف المقاومة، وبهذا جسدت الرسالة مزيج من البعد الديني والسياسي والاجتماعي وأظهرت درجة من التنظيم والتنسيق بين القبائل، كما عكست بدايات تشكل الوعي الجماعي المقاوم ضد الاستعمار الفرنسي مع أوائل القرن العشرين.

[1] شعيب حليفي، المرجع السابق، ص15.

إضافة إلى ذلك انتشرت في المنطقة العديد من الأشعار تحث على الجهاد المسلح ضد العدو الفرنسي حيث كانت موجهة للشعب وأول دعوة بثها للدفاع بحماس كبير عن كرامتهم وعزتهم وتاريخهم[1]، ولا ننسى زيارة شيخ ماء العينين لسنة 1906م الذي ألهب حماسهم واستثار روح الجهاد عندهم[2] فجاء على لسان شاعرها الشعبي مانصه:

يا أَهْلَ الشَاوِيَةُ صُولُو أَبعزَ وشرارةً.....بالجهَاد مُلْجحُودْ خَنازرُ النَصارَى

هذه الانتفاضة لم تكن فوضوية بل كانت مؤطرة ومخطط لها حيث أن القبائل التي فجرتها وحركتها كانت تنتخب زعماء لقيادتها، من أبرز هؤلاء نجد: أولاد بوزيري، أولاد سيدي بنداوود القرشي بن الرغاي، وكذلك الشيخ البوعزاوي الذي كان من المحرضين الرئيسيين على هذه الانتفاضة، وبأولاد حريز نجد الحاج محمد والأحمر بن منصور من المذاكرة. وقد اتفقوا على مجموعة من الأهداف لعل من أهمها نذكر:

- لن تتقاتل القبائل فيما بينها.
- نهب القصبات وتخريبها.
- معاقبة الأغنياء وأخذ إتاوة منهم.
- يتكلف كل زعيم بحفظ النظام في فرقته.[3]

ثانيا: انتفاضات صيف 1907م

تسارعت الأحداث لتنذر بتصعيد على مستوى منطقة الشاوية بشكل خاص والمغرب عموما، فقد تفطن المغاربة بأن الحل الوحيد لطرد الفرنسيين ووضع حد لتوسعهم واستغلالهم لخيرات البلاد خاصة في ظل تقاعص المخزن في الرد هو رفع لواء المقاومة المسلحة علها

[1] عبد الرحمان الملحوني، تاريخ وفنون الشاوية، المرجع السابق، ص 38.

[2] شعيب حليفي، المرجع السابق، ص13.

[3] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص 187.

تحقق ما كان يصبوا إليه سكان الشاوية بشكل خاص وبالتالي يكونون قدوة لغيرهم من المناطق الأخرى للمطالبة برحيل فوري للفرنسيين.

1. قصف الدار البيضاء

كانت حادثة قتل التسع عمال الأوربيين كافية لإرسال فرنسا حملة عسكرية لاحتلال الدار البيضاء، مدعية أن الهدف من ذلك هو فرض الأمن بالمدينة، فأعطت تعليمات بتوجيه هذه الحملة من الموانئ الجزائرية نحو الدار البيضاء بينما أقدم أوليفي(olivier)[1] على إرسال الباخرة الحربية غاليلي (Galilie) الراسية بميناء طنجة إلى الدار البيضاء التي وصلت في الفاتح من أوت 1907م[2] أو على الساعة الثامنة صباحا فشرع قائدها هو وسان أولير (Sain Eulir) والمهمة التي كلفت بها البارجة هي قنبلت المدينة بعد إنزال بحارة لحماية القنصلية الفرنسية وبما أن قوتها تتوفر على ثمانين من البحارة لا تستطيع مواجهة المغاربة إذ حدث النزول عنوة، فأخروه حتى تتكفل السلطات المغربية نفسها بإبعاد رجال القبائل[3] فاشترط على الباشا ابن بوزيد مايلي:

- أن يقوم بإخلاء المغاربة الطريق من القنصلية إلى باب المرسى وأن لا يمنع من يريد المرور من الفرنسيين.
- أن يتم إخلاء السكة الحديدة من المغاربة.[4]

هدأت الأحوال وباشرت الجمارك أعمالها وفتحت المتاجر مع اشتراط عدم حمل السلاح، واستمر الحال على هذا المنوال لمدة أربعة أيام، وفي الوقت نفسه سعت فرنسا لتطبيق قرارات مؤتمر الجزيرة الخضراء وتبرير احتلالها لوجدة، فأرسلت القنصلية للمولى

---

[1] **أوليفي** (olivier): قائد البارجة البحرية غاليلي. ينظر: محمد بوجميل، المرجع السابق، ص 56.

[2] المرجع نفسه، ص 56.

[3] دادي دراية، المرجع السابق، ص 26.

[4] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص 246.

الأمين في النصف الأخير من الرابع أوت 1907م تخبره بعزمها على إنزال فرقة عسكرية من البارجة غاليلي، فسلم المهمة إلى أبي بكر بن بوزيد الذي أمر بفتح باب المرسى[1] وكانت هذه البارجة على اتصال مستمر بسفن حربية أخرى هي دي شايل Duchayla وفوربان forbin.[2]

منذ أيام الثاني والثالث والرابع من شهر أوت من السنة نفسها[3]، وعلى الخامسة صباحا من يوم الاثنين الخامس أوت[4] دخل ستة وستون (66) بحارا فرنسيا المدينة شرعوا في قتل كل من وجدوه في طريقهم سواء من المخزن أو السكان العزل، فيما بدأت البارجة غاليلي بقصف المدينة بقذائف المنيليت الاشتعالية، فأحرقت الأحياء وقتلت الساكنة واستمر القذف لمدة يومي السادس والسابع أوت، تمهيدا لنزول جيش الاحتلال بقيادة الجنرال درود مع جيش تعداده ثلاثة آلاف جندي[5]، فاجتمع المغاربة الفارين داخل السور الجديد في حماية وأمان المولى أمين لكنهم احترقوا جميعا[6]، وهكذا كانت الخيبة الثانية لهم بعد خيبة المرسى، فقد أحصت الروايات الفرنسية عدد الضحايا بين ست مائة وألف وخمس مائة شهيد، أما التقارير الألمانية قدرت عدد القتلى بين ألفين وثلاثة آلاف شهيد.[7]

2. رد قبائل الشاوية على هذا القصف:

كلف هذا الهجوم المغاربة ثمنا باهضا ومع هذا لم تنقطع هجوماتهم على معسكر الفرنسيين، إذ أقدم أولاد البوزيري على تنفيذ هجوم عنيف في يوم الثامن والعاشر أوت

---

[1] أحمد زيادي، المرجع السابق، ص 26.

[2] فريدريك وايستجربر، المصدر السابق، ص 139.

[3] دادي دراية، المرجع السابق، ص 26.

[4] فريدريك وايستجربر، المصدر السابق، ص 139.

[5] شعيب حليفي، المرجع السابق، ص 16.

[6] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص 261

[7] المرجع نفسه، ص ص 272-273.

1907م كان الهدف منه الاستيلاء على المعسكر[1]، ولكن كثافة نيران العدو وقذائف الأسطول خففت من حدة الهجمات وأسفرت على تكبيد الفرنسيين مقتل خمسة من جنودهم، ويبدو أن هذا القتال جعل الجنرال درود يتعرف لأول مرة على إمكانيات المغاربة القتالية الذي أدهشه وجعله يراسل الادراة في باريس[2] (Paris) بضرورة إرسال مزيد من الإمدادات لمواجهة الموقف فورد في المراسلة ما نصه: "**نظرا للمعارك المستمرة ليلا ونهارا، ابعثوا من فضلكم مقداراً ثانيا من الذخيرة الأسلحة المحمولة وللمدفعية بأهمية المقدار الأول نفسه وبتموين عشرين ألف قرطوشة للرشاشات**"[3].

برز هذا التصدي الشعبي للاستعمار الفرنسي اجتماع ازيد من ألفي مجاهد من منطقة تادارت القريبة من الدار البيضاء وتجمعات أخرى مستنفرة من دكالة[4] الرحامنة وبني مسكين وزايان وقلعة السراغنة وتافيلالت[5].

في يوم الثامن عشر أوت هاجم الثوار في الساعات الأولى من الصباح المعسكر الفرنسي، فبعث الجنرال درود سرية من الفرسان نحو التل الذي صدر ففوجئوا بهجوم عنيف كادت تسحق خلاله لولا النجدة السريعة التي بعثها درود من المشاة والمدفعية. فأبعدت الثوار الذين تمكنوا من قتل ثلاثة جنود وجرح وإثنا عشرة آخرين من بينهم قائد السرية وعلى هذا بعثت الحكومة الفرنسية إمدادات هامة لتعزيز جيش الاحتلال[6]،

نتيجة لهذا التطورات الخطيرة أرسلت الاستخبارات الفرنسية في 20 أوت 1907م تقريرا وصفت من خلاله الوضعية السياسية للشاوية فورد فيه ما نصه : "...**إن تجمعات المغاربة**

---

[1] دادي دراية، المرجع السابق، ص ص 29-30.

[2] شعيب حليفي، المرجع السابق، ص 17.

[3] علال الخديمي، التدخل الأجني والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص ص 290-291.

[4] **دكالة:** يطلق هذا الإسم على مجموعة القبائل القاطنة بالناحية التي تفصل الشاوية عن عبده والرحامنة. ينظر: الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص 134.

[5] شعيب حليفي، المرجع السابق، ص 17.

[6] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص 291.

في تادارت والحاج بوعزة وتيط مليل تبين بالفعل وبوضوح أن النفوس محصنة ضدنا وأن جمهور الشاوية يرغب في حرب هذه الوضعية كما تبدوا الآن، إنا لا نوجد -كما كان يعتقد- في مواجهة بعض قطاع الطرق المنعزلين، أو بعض المجموعات من العصاة والمتمردين، ولكننا نواجه تحشدات كبرى من القبائل التي تبدي عداوة حقيقية نحونا"[1]

بقيت المعارك مستمرة ولم يفشل المقاومون، وفي يوم الخامس والعشرين وصلت تعزيزات من القوات والأسلحة فزادت أعدادهم من ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف جندي وأكثر من ألف وأربع مائة حيوان، وبطاريات مدفعية عيار 75 مم، ومدفعية جبلية عيار 80 مم وسريتين، كل هذه التعزيزات جعلت الجنرال درود يقوم في 28 أوت من سنة 1907م بعملية استطلاعية بعيدة ببعض الكيلومترات لكنها انتهت بمعركة حامية جعلته يدفع كل قواته للميدان لإنقاذ الدورية الاستطلاعية[2] وسميت هذه المعركة بدار بوعزة، وهي منطقة تبعد بحوالي أربعة كلم .[3]

كانت العملية الاستطلاعية مكونة من سريتين من مشاة وسرية واحدة من فرسان والكوم، وقطعة من المدفع 75 مم، انطلقت المفرزة على الساعة الثانية زوالا على شكل مربع وسطه مدفعية وراءه الخيالة وأمامه خيالة الاستطلاع ثم الكوم من الوراء، وعلى اليمين وحين توقفها استقبلت بنيران شديدة ردت عليها بالمثل وفرقتها المدفعية، فتظاهر الفرنسيون بالتراجع وأعطاهم القائد بروفال (proval) أوامر بالانسحاب ، وفي هذه الأثناء شوهدت تجمعات من فرسان المغاربة آتية وتتزايد في كل لحظة فكبدت فرنسا خسائر قدرتها الروايات التاريخية بحوالي ثلاثة قتلى وتسع جرحى[4]، وحطمت بذلك معنويات الجنود الفرنسيين.

---

[1] محفوظ الأسمهر، تاريخ الاستعمار بالبادية المغربية خلال القرن العشرين ، المعهد الملكي للثقافة الامازيغية ، الرباط ،2010،ص 39.

[2] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص 294.

[3] شعيب حليفي، المرجع السابق، ص 17.

[4] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص ص 295-296.

استعد الجنرال درود بعد هذا القتال لمواجهة المجاهدين وتكبيدهم هزيمة نكراء ويكون بذلك نفذ التعليمات إلي جاءته من باريس .إذ أخرج في الثالث من سبتمبر على رأس قوات هائلة معبأة تعبئة قتالية تامة، فوزع قواته إلى مربعين معززين بالمدفعية والفرسان، المربع الأول يقوده الليوتنان كلونين بلان **(colonel Blanc)** الذي استعمل كطعم لجر المغاربة إلى الميدان، أما المربع الثاني فكان دوره المساندة يقوده الليوتنان كلونيل برولار **(colonel Bruland)** والجنرال درود ، ويظهر أن المجاهدين علموا بخروجهم، فتركوا القوات الفرنسية تتوغل نحو ضريح سيدي مومن ولما ابتعد المربعان عن المدينة واقتربا من الضريح تعرضا لهجومات قام بها الفرسان على المربعين كل على حدة.[1]

وبعد قتال دام حوالي خمسة ساعات تراجعت القوات الفرنسية، فقد فيها درود ضابطين هما القبطان بروفوت **(provet)** والليوتنان بنيزة **(Beniza)** الذي قتل ضمن العشر قتلى أما الجرحى فبلغ عددهم سبعة شعر جريحا[2]، ومع هذا قررت الحكومة الفرنسية إرسال مزيد من التعزيزات للجنرال درود، فتمكن في صباح الحادي عشر سبتمبر من مفاجئة مخيم تادارت وحرق بعض خيامه التي غادرها سكانها وعند تراجع القوات الفرنسية هاجمها المجاهدون وكبدوها قتيلاً و ستة جرحى. وفي الواحد والعشرون من الشهر نفسه كرر الجنرال الهجوم على دوار سيدي إبراهيم، فأحرق خيامه بعد أن وجده فارغا وغنم الجنود بعض الحيوانات، لكنهم تكبدوا عند تراجعهم قتيلا واثنا عشر جريحا.[3]

[1] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص 299.

[2] المرجع نفسه، ص 300.

[3] المرجع نفسه، ص 301.

المبحث الثاني: تطور الانتفاضة في عهد الجنرال داماد 1908م

عينت السلطات الفرنسية الجنرال داماد عوض الجنرال درود الذي اتهمته بالعجز فتولى القيادة في الخامس جانفي 1908م وكلف بإنهاء مقاومة الشاوية واحتلالها كلها فشرع بعدما استفاد من الإمدادات العسكرية التي بعثتها حكومته في وضع خطة جديدة لإخضاع القبائل، إذ قسم جيشه إلى فيالق وحدد النقط الإستراتيجية التي يجب الاستيلاء عليها.

أولا: سياسة داماد Damad لإجهاض العمل المسلح.

طبق الجنرال الجديد أساليب قاسية وغير إنسانية بهدف إخضاع المغاربة،[1] حيث ارتكب أعمال القتل مستهدفا الأطفال والنساء وكبار السن وكل المدنيين دون تمييز كما قام بإحراق الأراضي وتسميم المواشي والمياه.[2]

1. إستراتجية داماد الأولى:

بدأ داماد في تطبيق خططه التوسعية بجيش كان عدده في ارتفاع تدريجي حتى بلغ ألف ثم خمسة عشر ألف، فاحتل قصبات فضالة وبوزنيقة، برشيدة في مدة ثمانية أيام بعد إخضاعه لقبائل مديونة وأولاد زيان، زناتة، وأولاد حريز ثم بعدها شرع في قمع تمرد الشاوية من الداخل بتشتيت العصابات بقيادة مولاي رشيد والسكتاني والبوعزاوي، فهاجم كل ما يشير إلى تجمع ليحس الأهالي بتفوق لا سبيل في مقاومته.[3]

وفي صباح الخامس عشر من جانفي هاجم مدينة سطات، دامت المعركة من الساعة الثامنة إلى الثانية عشر، أدت إلى انسحاب المغاربة تحت ضغط الهجوم، إلا أن عند دخول قواته للمدينة تعرض إلى هجوم عنيف من قبل قبيلة المذاكرة خسر فيها المغاربة عددا من

---

[1] نور الدين فردي، المقاومة الوطنية في الشاوية، المرجع السابق، ص 27. وللإطلاع على أهم المعارك التي دارت خلال هذه الفترة. ينظر: الملحق رقم2، ص 115.

[2] شعب حليفي، المرجع السابق، ص 18.

[3] فريدريك وايسجربر، المصدر السابق، ص 147.

رجالهم كان من بينهم القريشي بن الرغاي أحد زعماء الانتفاضة، إلا أن خسارة الفرنسيين كانت أكبر قدرتها الروايات التاريخية بحوالي ثلاثون رجلا بين قتيل وجريح.

أراد داماد معاقبة المذاكرة فوجه عملياته ضدهم وزرع قواته في طابورين، طابور تيرس بمركز برشيد بقيادة العقيد بوتكور Boulgourd وطابور الساحل يقوده الجنرال نفسه هدفهم الزحف باتجاه المذاكرة في اتجاهين مختلفين، إلا أن هذه العملية باءت بالفشل فالمقاومين خلالها اصطدموا مع طابور تيرس قبل وصول طابور الساحل فنشب قتال عنيف في عين مكون اضطر خلالها الجنرال للانسحاب والتخلي عن استعمال المنطاد[1] وقد سميت المعركة بعين مكون.[2]

عاد بعدها داماد بالضبط في 24 جانفي 1908م إلى الدار البيضاء ليتهيأ لعمليات ضد قبائل الشاوية كما أراد منح قسط من الراحة لقواته، إلا أن قائد طابور تيرس أراد معاقبة بعض دواوير أولاد حريز والمزامرة وأولاد سعيد لانضمامهم للمجاهدين فتقدمت القوات من برشيد إلى زاوية سيدي مكي جنوبا على السادسة صباحا واستولت على ألفين رأس من الماشية، واتجه جنوبا نحو دار القصيبات أو دوار القصيبات في 02 فيفري 1908م فقنبل الخيام والمساكن إلا أن أهلها قد غادروها قبيل وصولهم[3]، فتعرضت قواتهم إلى هجوم ونشبت معركة وتمكنت فرقة بقيادة الكلونيل برولاند Brulard القادمة من برشيد من فك الحصار وكانت خسائرهم حسب قول داماد سقوط ضابط واثني عشر رجلا وجرح أربعة

[1] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص 332.

[2] محمد المنوني، مظاهر يقضة المغرب الحديث، ج2، ط1، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1985م/1405هـ، ص 473.

[3] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص 333.

ضباط وأربعين رجلا، دون حساب قتل حوالي خمسين حصانا[1]، وتعتبر هي أولى المعارك التي خاضها البدو بأعداد كبيرة[2].

لم يتقبل الجنرال هذه الخسائر فحاول أن يثأر لها فتوجه من الدار البيضاء نحو برشيد بدل العودة إلى المذاكرة وتقدم بقواته التي انضمت للقوات المتمركزة ببرشيد نحو زاوية المكي يوم أربعة وعشرون فيفري، فأحرق الدواوير القريبة من الزاوية، وخلال الليل تعرضت قواته للهجوم إلا أن مدفعية الجبال أبعدت المغاربة الذين تراجعوا نحو سطات في الخامس فبراير وبعد منتصف ليلة الخامس والسادس فبراير هاجم الفرنسيون سطات إلى أنهم وتعرضوا إلى هجومات المغاربة خلال تقدمهم[3] وامتدت جبهة القتال على طول أكثر من سبعة كيلومترات وتمكنت القوات الفرنسية من دخول سطات بعد تخريب القصبة بالقذائف وإحراق الأحياء الشعبية وهكذا لم يتمكن من دخولها إلا بعد أن خرب في زحفه كل شيء، إلا أنه لم يصب مجاهدي الشاوية ولا المحلة الحفيظية بالرغم من زحفه بقوات معتبرة في هجوم ليلي سريع فكانت هذه المعركة سطات الثانية أو سيدي جبل كما سميت في 6 فيفري وخرج من سطات فاقدا فيها ثلاثة قتلى وستة عشر جريحا معوضا فشله بهجوم على ماشية أولاد سعيد حيث استحوذ على قطيعا كبيرا منهم .[4]

وبما أن المناطق الشرقية للشاوية تقطنها قبائل محاربة كالمذاكرة قرر الجنرال نقل المعركة إليها لينزل بها هزيمة ساحقة ،ولكي تكون العملية ناجحة عبأ قواته في ثلاث طوابير طابور الكلونيل طوبان Taubin الذي كلف بضرب منطقة فضالة وبوزنيقة، وطابور الكلونيل برولاند Brulard الذي استندت له مهمة التوجه من برشيد برشيد ومديونة شرقا، طابور

[1] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص 333.

[2] فريدريك وايسجربر، المصدر السابق، ص 149.

[3] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص 334.

[4] المرجع نفسه، ص 335.

الساحل وتيرس بقيادة الجنرال نفسه، الذي اتخذ اتجاها تمويهيا نحو الجنوب اتجاه سطات لينحرف نحو الشرق ويتجه للمذاكرة ،ونقطة التقائهم كانت ضريح سيدي عبد الكريم ببلاد المذاكرة[1] لكن الجنود فرضوا المعركة على العدو في أماكن اختاروها.[2]

فقد هاجمت قوات تروبان taupin في برابح على وادي نفيفيخ في يوم 16 فبراير، وظلت المعركة مستمرة إلى غاية يوم 17 فاضطر تروبان العودة من حيث أتى، وفرض الثوار معركة متشابهة فاضطر تروبان الى العودة من حيث اتى وفرض الثوار معركة متشابهة على القوات قبل ان يلتحق بداماد فهوجم قرب ضريح سيدي عبد الكريم، في صباح الثامن عشر فبراير وعرف هذا اليوم عند المغاربة بيوم السدرة أو سيدي عبد الكريم.

لم يتمكن داماد من إنقاذ فريق تروبان إلا عند الساعة الثانية عشر، بسبب انشغال قواته في مناوشات قريبة من ضريح سيدي داوود، وقد شكلت هذه المعارك تهديداً كبيرا لخطة الهجوم الفرنسية، حيث بلغت خسائر في صفوف الجيش الاحتلال الفرنسي حوالي تسعة وتسعون بين قتيل وجريح من بينهم ضابطين بول بولهو P.Boulhaut وأحمد بن محمد في معركة برابح.[3]

2. تغيير داماد لخططه العسكرية:

بدأت تساور الحكومة الفرنسية شكوكا في كفاءة داماد فعينت الجنرال ليوطي (Lyaute)[4] في مهمة استطلاعية بالمنطقة ،فكتب تقريرا يوضح من خلاله الطريقة المثلى

---

[1] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص 336.

2 المرجع نفسه، ص336.

[3] المرجع نفسه، ص 337.

[4] **ليوطي:** هو لويس هوبير كونزالف ليوطي ولد سنة 1854م في نانسي، نشا في أسرة تسيطر على التقاليد العسكرية، كان جنرال في الجزائر ثم في المغرب واعتمد على استراتيجية سلمية. ينظر: موساوي مجدوب، جوانب من استراتيجية الجنرال اليوطي بالجنوب الغربي الجزائري، مجلة متون، مج: 14، ع: 01، جامعة الدكتور الطاهر مولاي سعيدة، الجزائر، فيفري 2021، ص 103.

لاحتلال الشاوية ويدافع عن داماد، هذا الأخير ولمحو آثار فشله في المعارك السابقة قام بهجوم عام على المذاكرة وتخلى عن خططه السابقة وجمع كل قواته في جهة واحدة تضم سبعة كتائب من المشاة وخمسة سرايا خيالة وأربع بطاريات مدفعية وفرقة للرشاشات تستند على ذخيرة وتموين كافيين لأكثر من يومين من عمليات، سميت بمعركة فخفاخة.

تحركت القوات الفرنسية في 29 فيفري الثالثة صباحا عند التقاء وادي عسيلة بوادي الفكاك لتكوين وادي الملاح،وقد عبأ داماد قواته للقتال على شكل جبهة عريضة في مقدمتها الخيالة والمدفعية واستعد كذلك المغاربة للمعركة وشرعة الفرسان في التحرك[1] لجذب انتباه العدو بالمناورات التي قاموا بها وقد كان يطلق عليها الفرنسيين "الرفاخة"، أما السكان اسم فخفاخة وفخفاخة وعند اقتراب خيالة داماد منهم أطلقوا نيران بنادقهم وهربوا جريا[2]، وهذا يعتبر إجراء قتالي ليتبعهم الخيالة لتحصدهم نيران المشاة المختبئين في الحشائش وبهذا أصبحوا أكثر جرأة واحتقارا للبنادق الفرنسية، وفقد الفرنسيون التحكم في تسيير القتال وأصابتهم خسائر فادحة وفوضى في صفوف الجيش ما جعل داماد يضطر للتراجع بعدما خسر حوالي ستين مابين قتيلاً وجريحا بينهم ضابطين، أما المغاربة فقد استشهد منهم حوالي إثني عشر من المذاكرة وثلاثين من مشاة محلة عمر السكتاني[3]، وبهذا لقنت المذاكرة بقيادة أحمد بن منصور دروسا للجنرال وقواته.[4]

وهكذا بينت المعركة مدى صلابة المقاومة مما أجبرت داماد إلى تنفيذ سياسة الأرض المحروقة، وهذا ما حدث في الثامن مارس 1908م إذ أحرقت قواته في تقدمها كل ما وجدته أمامها وهدمت الديار التي غادرها أصحابها وقنبلت مخيمات السكان، مما أسفر

[1] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص 338.

[2] المرجع نفسه، ص 339.

[3] المرجع نفسه، ص 341.

[4] شعيب حليفي، المرجع السابق، ص 19.

عن ارتكاب مذبحة مروعة في صفوفهم، وبهذا أراد أن يعيد نفس الكرة غرب الشاوية خصوصا لما علمت قوات الاحتلال بتجمع مئات الخيام حول ضريح سيدي الغنيمي.[1]

حيث دعا محمد بن عبد الله الملقب ببونوالة[2]، السكان باللجوء تحت خيمته[3] إلا أنهم فوجئوا على الثامنة صباحا يوم الخامس عشر مارس بنيران مدفعية، وأمر داماد المشاة باقتحام الدواوير وإشعال النار،وكانت نتيجة هذه العلمية الوحشية استشهاد حوالي ألفين من المغاربة أغلبهم من النساء والأطفال والشيوخ، وأراد داماد من وراء هذه المذابح تجاوز الفشل الذي منيت به قواته في المعارك السابقة، والواقع أن المجاهدين الذين جاؤوا من قبائل أخرى أنهكتهم المعارك وعز عليهم الحصول على السلاح فتمكن الفرنسيون من إحتلال الشاوية مكلفة إياها وقتا طويلا وإمكانيات ضخمة وخسائر فادحة[4]، وبعد وصول ليوطي يوم السابع عشر مارس واستقبالهم من طرف داماد في الدار البيضاء نصحه بإحداث ملحقات عسكرية محلية بمثابة قواعد متقدمة ضد المجاهدين ومراكز للاستخبار والمراقبة. وفي 21 أفريل 1908مجرر ليوطي تقريرا شاملا قدمه لوزير الحربية.[5]

ثانيا: تطور أحداث الانتفاضة نهاية شهر مارس 1908م

1.تثبيت الاحتلال:

عقب كل هذه المجازر الوحشية والحرائق التي تسبب بها الجنرال داماد في حق القبائل العزل، قام مع نهاية شهر مارس بتكوين ملحقة عسكرية في منطقة المذاكرة لمتابعتها

---

[1] فريدريك وايسجرير، المصدر السابق، ص 151، للإطلاع على خريطة معركة فخفاخة. ينظر: الملحق رقم 1، ص 114

[2] **محمد بن عبد الله:** الملقب ببونوالة هو واحد من اولائك المتنبئين الذين يظهرون من بين العامة في أوقات الأزمة التي تمر بالبلاد الإسلامية ويفرضون أنفسهم عليها بنمط عيشهم وتنبآتهم وما يزعمون لأنفسهم من خوارق وكرامات ويستمد كنيته وشهرته من الولي نوالة بدوار مهمش من دواوير أولاد سعيد. ينظر: فريدريك وايسجرير، المصدر السابق، ص 151.

[3] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص ص 342-343.

[4] محمد بوجميل، المرجع السابق، ص 58.

[5] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص 344.

فاتجه بقوات كبيرة ضمن خمسة آلاف رجل بكتيبتين سينيغاليتين، وعند وصوله إلى المذاكرة أراد احتلال الكارة، إلا أنه تعرض إلى هجوم عنيف من القوات المغربية التي استخدمت المدفعية، فأسفرت هذه العملية عن خسائر قدرتها الروايات التاريخية بحوالي أربعة وعشرون رجلا ما بين قتيل وجريح، من بينهم ضابطين هما: سلفستر Sylvester وبوشرون Boucheron، وعلى الرغم من كل هذه الخسائر نجح داماد في احتلاله للمذاكرة وأسس بها ستة حصون تحيط بالمنطقة لتراقبها، كمركز بوعزة، بن سليمان وحصن سلفستر، وذلك خلال معركة العسيلة.[1]

بالرغم من ردود فعل القبائل القوية ضد هذا التقدم الوحشي إلا أنه تمكن من احتلال العديد من المناطق، حيث قاوم الشيخ البوعزاوي مع مجموعة من المجاهدين من قبائل المزامرة، أولاد سعيد، أولاد سيدي بن داوود، أولاد البوزيري وقبائل أخرى هذا التقدم في معركة سطات الثالثة يوم 06 من أفريل سنة 1908م[2]، وقد توجه داماد إليهم بهدف إنشاء مركز عسكري هناك ولإبعاد نفوذ المولى عبد الحفيظ الذي عادت محلته بقيادة الشيخ البوعزاوي، حيث قام بتحريض القبائل المجاورة على الجهاد.

وفي السادس من أفريل سيطرت القوات الفرنسية على سطات دون مقاومة تذكر إلا ليلة 8 و7 من الشهر نفسه، تعرضت قواتهم لهجوم قوي أظهر فيه المغاربة شجاعة كبيرة إلا أن قوات الاحتلال نجحت في صد هجوماتهم بفضل كثافة نيرانها، مما أدى إلى تراجع محلة البوعزاوي، تكبد خلالها الفرنسيون حسب الروايات التاريخية تسعة رجال ما بين قتيل وجريح من بينهم القبطان لوبي Loubet.

[1] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق ، ص 345.

[2] شعيب حليفي، المرجع السابق، ص 19.

يمكن اعتبار هذه المعركة هي الأخيرة التي خاضتها قبائل الشاوية الجنوبية بدعم من المحلة الحفيظية[1]، مما أحبط آمال رجال الشاوية، الذين كانوا ينتظرون طويلا وتشويقا لمجيء محلته "**مولى عبد الحفيظ**" ويرجون نتائج إيجابية، إلا أنه غادر إلى فاس بحثا عن حل سلمي بعدما كانت خطاباته المتبادلة مع رجال الشاوية كلها أمل ودعوى إلى الجهاد والقتال[2]، وبالرغم من انسحاب عبد الحفيظ وقواته استمر القتال ضد الفرنسيين في المذاكرة والأعشاش وخاصة من قبل أولاد محمد، كما تعرض مركز بوشرون لعدة هجومات، واستولى المجاهدون على قوافل تمويل العدو بين السابع والواحد والعشرون من شهر أبريل، كل هذه المستجدات أثبتت أن النكسات المتكررة لم تأثر على صمودهم ونضالهم[3].

2 معارك الغابة:

انتقل الجنرال داماد بقواته إلى المذاكرة، وعندما حددت الاستخبارات مواقع مخيمات القبيلة داخل الغابة شنت قوات الاحتلال هجوما شاملا عليها يوم 11 ماي 1908م، مما أدى إلى تفجير عدة معارك في مناطق مثل: سيدي كامل، صخرة عبو، برغيث ووادي العطش. وفي النهاية اضطرت القوات الفرنسية للتراجع دون نتيجة متكبدين فيها حسب الروايات التاريخية خسارة تسعة جنود مابين قتيل وجريح[4].

سعى داماد إلى استئناف الهجوم حيث قام بإجراء دراسة شاملة لمسالك الغابة وحدد مواقع الدواوير، و لكن رجال القبيلة قاموا بنقل الخيام إلى ساحات مفتوحة، في يوم 16 ماي تقدمت قوات الجنرال داماد وواجهت عسات المغاربة مما أدى نشوب قتال عنيف تمكنت خلاله القوات الغازية من نهب وإحراق الخيام وانتهت معارك بعد ان سجلت المذاكرة وأولاد

[1] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص 345.

[2] شعيب حليفي، المرجع السابق، ص 19.

[3] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص 346.

[4] المرجع نفسه، ص 346.

محمد ومجاهدون من زعير وبني خيران ملامح بطولية مما أدى إلى تراجع القوات الفرنسية مع تكبيدها خسائر قدرتها الروايات التاريخية بحوالي ثلاثين جندي ما بين قتيل وجريح ، بينما تكبد المغاربة خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات فقد استشهد العديد من زعمائهم مثل: محمد العربي المذكوري، إضافة إلى فقدان قطعانهم من الماشية.[1]

أصبح من الضروري تعزيز نتائج هذه العمليات لنشر والهدوء وقد استلهم الجنرال داماد المنهج الذي اعتمده الجنرال ليوطي في منطقة بني يزناسن وحقق به نجاحا ملحوظا[2] ويبدوا أن المعارك التي شهدتها غابة المذاكرة أبرزها معركة بير الورد دفعت مجاهدي المذاكرة وأولاد أمحمد إلى إعادة التفكير في جدوى استمرار القتال ضد العدو الذي استولى على أراضيهم ومزارعهم ودمر منازلهم، وعلى الرغم من خطة الأرض المحروقة التي اتبعها داماد والتي ساهمت في وتخفيف من شراسة المقاومة، إلا أنها لم تنجح في إقناع سكان المنطقة بقبول الاحتلال، ما جعل قواته في حالة استنفار خلال شهور جوان، جويلية وأوت، حيث قامت بعمليات استطلاعية في المناطق الجنوبية من الشاوية وغربها وشرقها، خاصة في أعقاب هزيمة المولى عبد العزيز [3].

يتضح أن الجنرال درود كان يعتمد على استخدام المربع الذي أثبت عدم فاعليته في التأثير على المغاربة الذين كانوا سريعي الحركة، ومن الناحية الأخرى اتبع الجنرال داماد إستراتيجية هجومية من خلال توزيع قواته على طابورين، حيث كان الأول مخصص للدفاع أما الثاني كان يحميه ومع فشل هذه الخطة في المعارك انتقل الجنرال داماد إلى استخدام تكتيك الأرض المحروقة ابتداء من شهر مارس.[4]

---

[1] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق ، ص 346.

[2] فريدريك وايسجربر، المصدر السابق، ص 151.

[3] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص 347.

[4] المرجع نفسه، ص 348.

وبهذا شكلت أحداث صيف 1907 م حتى سنة 1908م نقطة تجول مفصلية في تاريخ المغرب الحديث حيث فجرت ثورات شعبية غضبا عارما ضد التدخل الأجنبي معبرة عن الرفض الجماعي ضد سياسة الهيمنة والاستغلال التي بدأت تظهر ملامحها مع احتلال الدار البيضاء وتوغل الجيش الفرنسي في الشاوية.

من خلال ما تم عرضه من معطيات تاريخية في هذه الجزئية من الدراسة يمكننا أن نخرج بمجموعة من الاستنتاجات لعل من أهمها نذكر:

- أبانت هذه المرحلة عن وعي شعبي تجلى في وحدة الصف بين القبائل و استبسالها في مواجهة قوى استعمارية متفوقة عدة وعتادا.
- لم تكن هذه المقاومات مجرد فعل عابر بل التعبير الأول عن مقاومة منظمة ستواصل وتتعاظم في السنوات اللاحقة.
- لم تكن سنة 1907م سوى بداية لمسار طويل من الكفاح وقد بينت هذه المعارك أن الاستعمار رغم قوته لم يكن قادرا على بسط سيطرته دون تعرضه لمقاومة شرسة كبدته خسائر في الأرواح والعتاد.

الفصل الثالث: المواقف المختلفة من انتفاضة الشاوية وأبعادها

المبحث الأول: ردود الفعل المختلفة من الانتفاضة

أولا: ردود فعل الساكنة

1. موقف المخزن

2. مواقف الشاوية ومن معهم في زمن المقاومة

ثانيا: المواقف الخارجية (فرنسا وألمانيا أنموذجا)

1. رد فعل فرنسا من مقاومة الشاوية للتوغل و التوسع

2. موقف ألمانيا من السياسة التوسعية الفرنسية

المبحث الثاني: النتائج المترتبة عن الانتفاضة

أولا: نتائج الانتفاضة على المستوى القريب

1. الصراع بين عبد العزيز وعبد الحفيظ

2. تولي عبد الحفيظ الحكم والصعوبات التي واجهها

ثانيا: انعكاسات الانتفاضة على المدى البعيد

1. حصار فاس وأزمة أغادير: بين التدخل الفرنسي وتفاقم الأزمة المغربية

2. فرض الحماية الفرنسية على المغرب سنة 19122

3. المقاومات الشعبية في المغرب (مقاومة عبد الكريم الخطابي أنموذجا)

عرفت انتفاضة الشاوية لسنة 1907 ردود فعل متباينة من قبل مختلف الأطراف سواء داخل المغرب أو خارجه. بالنظر إلى سياقه التاريخي الحساس وطبيعة التهديد الاستعماري الذي كان يحدق بالبلاد. فقد كان تباينت مواقف المخزن، فمثلا السلطان عبد العزيز وأخيه عبد الحفيظ. بين التردد والمواجهة، في وقت أبانت فيه بعض القبائل المغربية عن مساندة قوية للثوار. كما كانت هذه الانتفاضة محط أنظار القوى الأجنبية. خاصة فرنسا التي ردت بقوة عسكرية واقتصادية للسيطرة على المنطقة. في حين عبرت ألمانيا عن موقف دبلوماسي يعكس توازنات السياسة الدولية في ذلك الوقت.

ويسعى هذا الفصل إلى استجلاء هذه المواقف المتعددة وتحليل أبعادها ونتائجها. سواء القريبة أو البعيدة، بالنظر إلى ما شكلته الانتفاضة من محطة مفصلية في مسار التغلغل الاستعماري وبداية تشكل الوعي الوطني المقاوم.

المبحث الأول: ردود الفعل المختلفة من الانتفاضة:

لقد شكلت انتفاضة الشاوية صدمة قوية للسلطات الاستعمارية وللفاعلين المحليين، مما أدى إلى حدوث تباين في ردود الفعل اتجاهها فقد تنوعت هذه الردود بين الدعم الشعبي والمساندة الميدانية من القبائل بين القمع الشديد الذي مارسته الإدارة الفرنسية. بالإضافة إلى بعض المواقف الخارجية مثل موقف ألمانيا. يهدف هذا المبحث إلى تسليط الضوء على التفاعلات بمختلف مستوياتها من أجل فهم الأثر الفوري للانتفاضة على البيئة المحلية والاستعمارية.

أولا: ردود فعل الساكنة

كشفت الانتفاضة الشاوية عن تباين واضح في مواقف المخزن ممثل في السلطانيين عبد العزيز وعبد الحفيظ[1] وهو ما ساهم في تعميق الأزمة السياسية في البلاد. مما ساعد بشكل جلي وكبير في التوغل والتوسع الفرنسي في المنطقة.

1. موقف المخزن:

مع أواخر القرن التاسع عشر بدأت وضعية المخزن تضعف بشكل ملحوظ في مواجهة القوى الاستعمارية[2]. وقد أصبح من الواضح أن السلطان عبد العزيز وجهازه المخزني لن يتمكنا من استعادة قوتهما بعد انهيار الأوضاع في البلاد عقب ثورة بوحمارة عام 1902. وما تلاها من أحداث بما في ذلك احتلال مدينة وجدة والدار البيضاء والشاوية.[3]

---

[1] **عبد الحفيظ:** ابن السلطان الحسن الأول ولد سنة 1863 كان الخليفة الشرعي في مراكش لعبد العزيز، اشتهر بذكائه وثقافته واطلاعه على المشاكل الدولية وكفاءته التفاوضية توفي سنة 1937. ينظر: الطيب بياض، المخزن والضريبة، المرجع السابق، ص120.

[2] نور الدين فردي، انتفاضة الشاوية بين الاحتلال الفرنسي والمخزن والقبائل، المرجع السابق، ص211.

[3] الطيب بياض، المخزن والضريبة والاستعمار، المرجع السابق، ص119.

لم يتمكن عبد العزيز من مواجهة الظروف الصعبة التي وقفت حاجزا أمام استقرار الأوضاع في البلاد. ففي الوقت الذي كان يناقش فيه الشروط القاسية التي فرضتها فرنسا للانسحاب من وطنه، كان يسعى أيضا إلى اقتراض الأموال مرة أخرى لتسديد الغرامات التي فرضتها الدولة المحتلة لتمويل احتلال الدار البيضاء والشاوية، وبالتالي، لم تكن شخصية عبد العزيز في مستوى الأحداث والمتغيرات التي حوله[1] خصوصا بعد إعلان بيعة عبد الحفيظ.

كانت وضعية السلطان عبد العزيز في فاس صعبة. فقد أدت التدخلات المسلحة في الدار البيضاء إلى إحباط جميع الجهود التي بذلها للحفاظ على استقرار البلاد وسيادة قرار المخزن.[2] لذلك اتخذ هذا الأخير مجموعة من الإجراءات لتفادي أي تصادم مع الأجانب.

رغم كل هذه التدابير إلا أن سوء التنظيم كان واضحا وذلك نتيجة الضغوط الفرنسية الممارس عليه علاوة على ذلك، تعرض الجيش المخزني لعملية قتل جماعي خلال الإنزال دون أن يظهر مقاومة. وذلك نتيجة غياب موقف واضح من قبل المخزن.[3] فقرر عبد العزيز الانصياع والخضوع للفرنسيين نظرا لحاجته الملحة للدعم المالي. كما قام بإيفاد بعض موظفيه لشاوية لمواجهة دعاية أخيه. قبل أن ينتقل إلى الرباط محاولا إقناع القبائل بوقف قتالهم ضد الفرنسيين. وقد أثمرت جهود السلطان في بعض القبائل المجاورة للدار البيضاء. في توقيف القتال، حيث أبرمت القبائل صلحا مع الفرنسيين اعتبرته فرنسا بمثابة استسلام.[4]

قامت قبائل الشاوية بالتواصل مع خليفة السلطان، عبد الحفيظ منذ بداية اندلاع المعارك في المنطقة. حيث أعلنت البيعة له في مراكش بعدها دعا إلى الجهاد ومساندة أهل

[1] عبد الكريم غلاب، المرجع السابق، ص ص 137- 159.

[2] علال الخديمي، التدخل الاجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص320.

[3] نور الدين فردي، المرجع السابق، ص211.

[4] علال الخديمي، التدخل الاجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص320.

الشاوية، وقد كان هذا الإعلان بحد ذاته تجسيدا لدعم معنوي كبير، من خلاله سعت القبائل إلى تكثيف جهودها لمواجهة العدو وطرده من أراضيها.[1]

كانت أولى خطوات السلطان المولى عبد الحفيظ بعد مبايعته إرسال قوة عسكرية إلى منطقة الشاوية. حيث نزلت بقصبة مديونة على بعد 20 كلم من الدار البيضاء[2] فيما ظل عبد الحفيظ في مشرح الشعير جنوب الشاوية يراقب المعارك، ويقوم بإرسال الأسلحة وتقديم الدعم للمجاهدين. وفي الوقت نفسه بذل السلطان عبد الحفيظ جهودا حثيثة لدفع الجانب الفرنسي إلى الدخول في مفاوضات لعقد صلح ووقف التوسع الفرنسي في المنطقة.[3]

استطاع السلطان عبد الحفيظ أن يحقق تقدما ملحوظا في سواء في الداخل أو الخارج، وذلك من خلال دفاعه عن حقوق المغاربة وسيادتهم، وهو ما تجلى في مراسلات الصحف وتعليقاتها. كما أكدت المعارك التي خاضها المغاربة في الشاوية ضد جيش الاحتلال الفرنسي خلال عامي 1907 و1908 على شراسة المقاومة وشجاعة المجاهدين وقدراتهم الحربية. حيث حقق الجيش الحفيظي انتصارات في معظمها، مثل معركة سيدي بن سليمان ودجينز 1907م.[4]

ويمكننا في هذا السياق بأن نسجل بأن معظم المعارك التي خاضها الجيش الحفيظي كانت على أراضي المذاكرة[5] فقد كان للدعم الفعال الذي قدمه المولى عبد الحفيظ لهذه القبائل دورا بارزا في تحقيق مجموعة من الانتصارات[6] كما ساعد السلطان المولى عبد

[1] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص315.
[2] أحمد زيادي، المرجع السابق، ص22.
[3] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص ص 317-320.
[4] محمد القبلي، المرجع السابق، ص510.
[5] نور الدين فردي، المرجع السابق، ص25.
[6] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص35.

الحفيظ قبائل الشاوية والمجاهدين من القبائل الأخرى في مواجهتهم لقوات الفرنسية حيث خاضوا معارك عنيفة حققت فشلا متكررا للجنرال داماد. تمما كما حدث مع الجنرال درود.[1]

وفي اتجاه أخر مغاير للاتجاه الذي ذكر أعلاه استمر السلطان عبد الحفيظ في التمسك بضرورة انسحاب القوات الفرنسية من البلاد وذلك من خلال عقد مجموعة من مفاوضات مع الحكومة الفرنسية بين عامي 1908-1911م[2] فقد تدخل في وضع نهاية للأحداث التي وقعت بين مواطنين وجنود الجيش الفرنسي ذلك بهدف إرساء حالة من الهدوء والاستقرار في المنطقة، والذي يمكن أن يحقق له مصالحه.[3]

2. مواقف الشاوية ومن معهم في زمن المقاومة:

شكلت مقاومة المغاربة في سهول الشاوية. ثم تلتها المعارك التي خاضوها في عامي 1907 – 1908م. صورة لجهود جماعية منظمة من قبل سكان البوادي المغربية وقد استندت هذه المقاومة إلى دوافع عميقة. وإيمان راسخ بضرورة التضحية بالنفس والمال من أجل الدفاع عن الأرض والدين والكرامة[4] فقد أكدت هذه المعارك على الموقف الثابت للقبائل للقبائل في سبيل استرجاع السيادة والحرية. وهنا بالرغم من مساعي فرنسا توقيف مسار هذه المقاومة، وذلك من خلال إقامة علاقات مع الزوايا. حيث تم الاتفاق مع بعض المرابطين لتهدئة القبائل إلا أن هذه الخطة لم تنجح. فتجاوزت القبائل خلافتها و اتحدت لمواجهة هذا الاحتلال تحت قيادة المرابطين، متفقة على عدم الاقتتال فيما بينها.

وفي هذا السياق نذكر مساعي المرابط البوعزاوي في تجنيد جميع أتباعه للقيام بواجب الجهاد. إضافة إلى بعض القادة الذين كانوا بارزين في فنون الرماية والذين حاولوا توحيد

---

[1] محمد القبلي، المرجع السابق، ص510.

[2] نور الدين فردي، المرجع السابق، ص25.

[3] عبد الكريم غلاب، المرجع السابق، ص159.

[4] محفوظ أسمهر، المرجع السابق، ص40.

القبائل تحت قيادتهم لصد العدوان الفرنسي.[1] والحقيقة التي لا يمكن نكرانها هي أن المغاربة أظهروا شجاعة فائقة في القتال. فقد اتبعوا خطة قتالية مثالية اتسمت بالمهارة بما لا تقل عن تلك التي تمتع بها جنود الجيش الفرنسي. وساعدهم في ذلك المعرفة الجيدة للمجاهدين بجغرافية المكان. بالإضافة إلى دقة تصويبهم ومهارتهم العالية في القتال على ظهور خيولهم.[2]

وقد أبدى الجنرال درود دهشته بالفعل من الجهود التي بذلها مجاهدو الشاوية في التعبئة والتنظيم رغم أنهم كانوا يعانون من نقص كبير في العتاد والتدريب مقارنة بالقوات الفرنسية[3]. فقد شاركت كافة القبائل في مقاومة الاحتلال الفرنسي مثل دكالة والرحامنة وتادلا[4] وزعير[5] فقد كان لهذه الاخيرة دور بارز في حركة الجهاد على مستوى منطقة الشاوية،[6] ويعود ذلك إلى الجوار والتداخل بين زعير وقبائل الشاوية في الزيايدة والمذاكرة والأعشاش[7]

---

[1] نور الدين فردي، المرجع السابق، ص ص 25 – 26.

[2] عبد الكريم غلاب، المرجع السابق، ص ص 25–26.

[3] علال الخديمي، التدخل الاجنبي و المقاومة بالمغرب، المرجع السابق ،ص ص 303 – 304.

[4] **تادلا:** هي مركز فلاحي غلى الضفة اليمنى لوادي ام الربيع يقع وسط ناحية اشتهرت بتربية الأغنام وجودة الأصواف، وهي من أغنى الأقاليم تقع المدينة على بعد 300كلم جنوب شرق الدار البيضاء. ينظر: الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص92.

[5] **زعير:** تكون زعير مجموعة قبلية كبيرة مجاورة لمدينتي الرباط والسلا، ولقبائل الشاوية وزمور و زيان وتادلا. تنقسم زعير إلى قسمين كبيرين أحدهما يسمى (الكفيان) يضم القبائل المجاورة لشاوية وتادلا. والثاني يسمى (المزارعة). وهو القسم الذي يحتل شمال شرق زعير يمتد مجاله من الرباط من جهة الشمال الغربي إلى زمور في الشرق وزيان في الجنوب الشرقي. ويضم القسمان حوالي ثلاث عشرة قبيلة. ينظر: علال الخديمي، مقاومة قبائل زعير للتدخل للفرنسي 1906 – 1912، ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار 1904 – 1955 الجذور والتحليلات، أعمال الندوة العلمية المنعقدة أيام 13 – 14 – 15 نوفمبر 1991، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن الزهر أكادير، 1997، ص96.

[6] علال الخديمي، مقاومة قبائل زعير للتدخل الفرنسي 1906–1912، المرجع نفسه، ص100.

[7] محفوظ أسمهر، المرجع السابق، ص40.

لم تكن الشجاعة والقدرة القتالية والاستمالة في الدفاع على أرضهم ومالهم وعرضهم التي تحلى بها المجاهدون كافة لوقف توغل الجيش الفرنسي في المنطقة فقد نجح هذا الأخير في إخضاع القبائل المجاورة للدار البيضاء. مستفيدا من تفوق تسليحه وخصائص التضاريس السهلية. بينما واصلت القبائل الأخرى مقاومتها مستغلة المرتفعات والغابات. حيث حققت قبيلة المذاكرة انتصارات بارزة ضد جيش الاحتلال الفرنسي.[1]

ومن الضروري التأكيد على أن خصوصية المقاومة في الشاوية تتمثل في أن حركة الجهاد فيها كانت حركة وطنية عامة.[2] تنوعت أعمار المقاتلين وجنسهم حيث ساهمت المرأة الشاوية جنبا إلى جنب مع الرجل في الجهاد مما أظهر شجاعتها وصبرها وثباتها الأمر الذي أثار إعجاب العدو نفسه بها. فعندما كانت القوات الفرنسية تهاجم بعض القرى كانت لا تجد فقط العجائز والفتيات. وقد وضعن التراب على وجوههن وعندما سألت إحدى هؤلاء عن سبب ذلك أجابت بأن الأمر يمثل علامة على الحزن بسبب قدوم النصارى. كما كانت المرأة أثناء المعارك تشيع القتلى بزغاريد عالية. فقد تحملت المرأة أيضا أعباء الجهاد وما ينتج عنه سواء كان ذلك من خلال دفع أولادها للمشاركة في المعارك أو السهر ليلا لتحضير الطعام للمقاتلين.[3]

أصبحت منطقة الشاوية منذ عام 1908 مسرحا في مواجهة مباشرة مع المحتل كما انضم إليها مجاهدون من مناطق بعيدة، مثل جبال الأطالس وتافيلالت. وقد جاء هؤلاء المجاهدون استجابة لنداء الجهاد الذي أعلنه المولى عبد الحفيظ. والذي لاقى صدى واسعا وأيدته الزعامات الدينية في المدن والبوادي.[4]

---

[1] نور الدين فردي، المرجع السابق، ص 26.

[2] محفوظ أسمهر. المرجع السابق، ص ص 40 – 41.

[3] علال الخديمي، التدخل الأجنبي و المقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص 350.

[4] محفوظ أسمهر، المرجع السابق، ص40.

وإذا كان من الصعب تحديد طبيعة المساعدة المقدمة. فإنه يمكن التأكيد على وجود جماعات من المجاهدين التي شاركت في القتال ضد القوات الفرنسية. فقد أشار تقرير الجنرال درود قائد قوات الاحتلال. الموجه إلى وزير الحربية بتاريخ 20 أوت 1907، إلى تجمع مجموعات من القبائل الشاوية مثل الزناتة والمذاكرة. بالإضافة إلى زعير الذين ليسوا من الشاوية وذلك في مواجهة المعسكر الفرنسي كذلك شكلت زعير أيضا المجال الحيوي لمجاهدي الشاوية الذين كانوا يتزودون منها بحاجياتهم ويلجئون إليها لتنظيم صفوفهم. والعودة للقتال خاصة قبائل المجاورة كالمذاكرة[1]. كذلك لا يمكننا إنكار التضامن العربي الإسلامي الذي لقي صدى واسعا في بعض الصحف المصرية بشكل خاص في جريدة مصطفى كامل "اللواء"[2]

ثانيا: المواقف الخارجية (فرنسا وألمانيا أنموذجا)

إن احتلال الدار البيضاء والشاوية كان مؤامرة نسجت بخيوط الاستعمار الفرنسي الذي استغل ضعف الدولة المغربية آنذاك. وإذا ألقينا نظرة سريعة على الفترة التي تلت الفترة المدروسة، يتضح لنا أن الاحتلال المغربي لم يكن يتطلب سوى توافق بين القوى الاستعمارية.[3] واتبع المحتلون استراتيجيات ذكية وماكرة. وبالنظر إلى صمود المغاربة ورغبتهم في تقليل الخسائر المادية والبشرية فقد لجأ المستعمرون في البداية إلى العمل السياسي كوسيلة موازية للعمل العسكري لتفكيك صفوف المقاومة المغربية. حيث استهدفا الزعامات القبلية وسعى لاستمالتها عبر تقديم المال والمناصب. بالإضافة إلى إثارة الخلافات الداخلية.

[1] علال الخديمي، مقاومة قبائل زعير للتدخل للفرنسي 1906 – 1912، المرجع السابق، ص100.

[2] أحمد زيادي ، المرجع السابق، ص25.

[3] نور الدين فردي، المرجع السابق، ص23.

1. رد فعل فرنسا من مقاومة الشاوية للتوغل والتوسع

بالرغم تخطيط المحكم الذي اتبعه لم تؤت هذه السياسة ثمارها دائما بل واجهت صمودا شعبيا وإرادة قوية من قبل المقاومين. مما قلل من فعاليتها وحد من نجاحها. ثم عمدوا إلى تكثيف استخدام القوة المسلحة والحرب الاقتصادية بهدف القضاء على المقاومة[1]. في بداية المعارك بين الشاوية والفرنسيين كان الجنرال درود هو قائد القوات الفرنسية[2] وقد تم إرسال إمدادات كبيرة له نتيجة لصمود المجاهدين في الشاوية. ولعجز الجنرال درود أمام المجاهدين المغاربة[3]. الذين كانوا أضعف تسليحا. أدت هذه الظروف إلى ارتكاب تصرفات تنافي قوانين الحرب حيث أمر بإعدام بعض الأسرى والجرحى الذين وقعوا تحت يده، بحجة أنهم يمثلون خطرًا وتهديدا إلى ترهيب المقاومين. وتعرضت أفعاله للتنديد و الانتقاد.

وبعد أن أظهرت فرنسا فشل خطتها الأولى. قررت عزل الجنرال درود وتعيين قائد جديد بدلا منه.[4] وفي الخامس من جانفي وصل الجنرال داماد إلى مدينة الدار البيضاء لتولي قيادة فيلق الاحتلال. الذي شهد زيادة تدريجية في عدد رجاله، حتى بلغ العدد عشرة ألاف ثم خمسة عشر ألف ومنذ ذلك الحين نشهد سلسلة مستمرة وناجحة من الزحف والمناورات والغارات والاشتباكات.[5]

استبدل الجنرال داماد التكتيكات الحربية التي كان يعتمدها سابقه درود، وركز على مجموعة من الإستراتيجيات الجديدة. أبرزها تكتيك الأرض المحروقة. بدأ هذا الأخير بتنفيذ عمليات هجومية سريعة على القرى، مستهدفا النساء والأطفال والمواشي بقذائف المدفعية من

---

[1] علال الخديمي، مقاومة التدخل الأجنبي في الشاوية وجبال الأطلس، المرجع السابق، ص ص 348 – 350.

[2] فريدريك وايسجرير، المصدر السابق، ص140.

[3] علال الخديمي، مقاومة التدخل الأجنبي في الشاوية وجبال الأطلس، المرجع السابق، ص 359.

[4] المرجع نفسه، ص ص 359 – 360.

[5] فريدريك وايسجرير، المصدر السابق، ص147.

مسافات بعيدة. بعد ذلك، كان الجنود المشاة يتابعون الهجوم من خلال إحراق المنازل ومصادرة الحيوانات.

كما أقدم هذا الجنرال على حرق المزارع وتدمير مخازن المؤن وهدم منازل زعماء المقاومة[1] هذه كانت حرب اقتصادية تهدف إلى إلحاق الجوع بالمجاهدين ودفعهم للاستلام[2] وقد أثمرت هذه الخطة بشكل إيجابي لصالح الاحتلال برغم أنها أثارت ردود فعل غاضبة داخل فرنسا وخارجها. فقد أولت وسائل الإعلام اهتماما كبيرا لإعمال الجيش المحتل معربة عن استنكارها للانتهاكات التي ارتكبت ضد السكان المدنين. وقد تصدرت الصحافة الفرنسية عددا من العناوين في صحف وجرائد المختلفة توضح وتصف الظلم الذي تعرض له سكان الشاوية مستعرضة عناوين مثل "**معركة أو مذبحة**" و"**وحوش مطلوقة**"[3]

2. موقف ألمانيا من السياسة التوسعية الفرنسية:

في البداية أثار الألمان رجال الشاوية بترويجهم لأخبار مفادها أن السلطان قد باع البلاد للفرنسيين. واستغلوا بعد ذلك مظاهر التدخل الأجنبي، مشيرون إلى أن الفرنسيين بعد استيلائهم على الجمارك والميناء. قاموا ببناء سكة حديدية لغزو المغرب[4]

أما فيما يخص المواقف الألمانية من قنبلة الدار البيضاء واحتلال الشاوية. فاتسم موقف الحكومة الألمانية في البداية بالتحفظ اتجاه القرار الفرنسي في المغرب حيث لم تعارضه بشكل مباشر. بل أظهرت نوعاً من الحذر عبر تصريحات مسؤوليتها التي نقلتها الصحف مثل جريدة الفيغارو(le figaro) ومع مرور الوقت بدأت ألمانيا تتخذ موقفا أكثر

[1] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص ص 347 – 348.

[2] علال الخديمي، مقاومة التدخل الأجنبي في الشاوية وجبال الأطلس، المرجع السابق، ص 350.

[3] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص 343.

[4] أحمد زيادي، المرجع السابق، ص12.

وضوحًا. معبرة عن تحفظاتها عبر قنواتها الدبلوماسية ووسائل إعلامها. لكنها كانت تحرص دائما على مراعاة مصالحها مع فرنسا وعدم تصعيد المباشر.

بدى موقف الرأي العام الألماني عكس حكومته أكثر حدة، إذ عبرت الصحافة الألمانية عن معارضة قوية للسياسة الفرنسية في المغرب. معتبرة إياها تهديدا لصالح ألمانيا، وشنت حملة إعلامية واسعة ضد التحركات الفرنسية، مما ساهم في زيادة التوتر بين البلدين[1] ففضحت الصحافة الألمانية وخاصة صحيفة (Vossische Zeitung) جرائم جيش الاحتلال بالشاوية. استنادا إلى شهادات شهود عيان أكدوا وقوع انتهاكات جسيمة ضد النساء والأطفال والعجزة خلال أحداث مارس.

كما كشفت الشهادات أن الجنرال داماد والضباط العاملين معه أصدروا أوامر مباشرة بإطلاق النار.[2] على الجرحى والمدنين، إضافة إلى تفجير المباني بمن فيها من أطفال ونساء، وارتكاب أعمال واسعة تحت إشراف الضباط. وجاء نشر هذه الفضائح ليبرز فشل الجنرال داماد ويكشف حجم الإنفاق الذي مني به خلال معارك الشاوية[3]

أما موقف الجالية الألمانية كان معاديًا بشكل قوي للاحتلال الفرنسي في الدار البيضاء والشاوية حيث كان كارل فيكه (Karl Ficke)[4] من أبرز زعمائها. وقد أسست مؤسسته علاقات واسعة مع قبائل الشاوية مما ساعدها على بناء روابط متينة مع عدد كبير من السكان من خلال الحماية والمخالطات، وهو ما أستخدم في محاربة النفوذ الفرنسي[5].

---

[1] علال الخديمي، المغرب في مواجهة التحديات، المرجع السابق، ص ص 99 – 100.

[2] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق ، ص344.

[3] المرجع نفسه، ص344.

[4] كارل فيكه (Karl Ficke): هو من أبرز زعماء الجالية الذي كان يملك مؤسسة تجارية كبيرة بالدار البيضاء، وهو أكثر من قاوم الاحتلال الفرنسي. ينظر: علال الخديمي، المغرب في مواجهة التحديات، المرجع السابق، ص102.

[5] علال الخديمي، المرجع نفسه، ص ص 102-104.

ولفهم دور الجالية الألمانية في مقاومة هذا النفوذ سنعرضه من زاويتين، أولا، النشاط الدعائي للجالية في الأوساط الألمانية والدولية لفضح الاحتلال والتأثير على الحكومة الألمانية لاتخاذ مواقف معارضة وذلك من خلال إرسال تقارير تفصيلية ووفود إلى ألمانيا تشرح الأوضاع والظلم الذي يتعرض له السكان، وثانيا، قامت الجالية بنشاط في أرض الشاوية ضد الاحتلال رغم أنه لم يكن لها بالإمكان التدخل بشكل مماثل لفرنسا فإنها لم تظل مكتوفة الأيدي. واتبعت سبلا لعرقلة الأعمال الفرنسية في الشاوية. مثل نظام المخالطة والحماية، الذي كان يمنح للألمان وغيرهم من الأجانب[1].

فقد نشط الألمان في عمليات تهريب الأسلحة وتزويد المجاهدين بها. كما قاموا بشراء الأراضي والعقارات في منطقة، وتشجيع مخالطيهم على عدم الامتثال لأوامر القوات الفرنسية...الخ. وبالتالي نستنتج أن موقف ألمانيا كان معارضا للهيمنة الفرنسية. ولكنه لم يكن نصرة للشاوين أنفسهم، بل دفاعاً عن مصالحهم الخاصة. [2]

المبحث الثاني: النتائج المترتبة عن الانتفاضة:

تشكلت انتفاضة الشاوية عام 1907 نقطة تحول حاسمة في تاريخ المقاومة المغربية ضد الاستعمار الفرنسي. فقد عكست هذه الانتفاضة تعبيرا قويا عن رفض الشعب للتدخل الأجنبي، وخلفت آثارا متعددة. في هذا المبحث سنعرض أبرز هذه النتائج، موضحين تأثيرها المباشر على مسار الاحتلال الفرنسي وما ترتب عليها من تداعيات على المجتمع المغربي بشكل عام. ومنطقة الشاوية بشكل خاص.

أولا: نتائج الانتفاضة على المستوى القريب

أحدثت انتفاضة الشاوية زلزالا سياسيا في البلاد. حيث ساهمت في تفاقم الأوضاع الداخلية وزيادة حدة الانقسام بين السلطان عبد العزيز وأخيه عبد الحفيظ. وقد أسفر عن ذلك

[1] علال الخديمي، المغرب في مواجهة التحديات ، المرجع السابق، ص ص 104-105.

[2] المرجع نفسه، ص106.

نشوب صراع سياسي بين الطرفين حول الشرعية وموقفهما من التدخل الأجنبي، انتهى بتولية عبد الحفيظ الحكم. ومع ذلك، لم تكن هذه التغيرات كافية لتجاوز الأزمة إذ واجه السلطان الجديد تحديات كبيرة على الصعيدين الداخلي والخارجي.

1. الصراع بين عبد العزيز وعبد الحفيظ

تولى المولى عبد الحفيظ عام 1896م في مدينة مراكش الحكم خلفا لأخيه عبد العزيز. وقد نال عبد الحفيظ تعليماً متقدما مكنه من تطوير ثقافته في مراكش. وذلك بفضل مشاركته في المجالس العلمية هناك واطلاعه على مجموعة كبيرة من الكتب. اذ كان لديه ميول للنشاطات الفكرية إلى جانب نزعته الوطنية، وصفه الأجانب بالتعصب وكراهية الأجانب اذ كان يمتنع عن استقبال الأوروبيين في قصره بمراكش، كرد فعل على رفضه للهيمنة التي فرضها الأوروبيون على البلاد بشكل عام[1]

إذْ يتضح من خلال الجهود التي بذلها السلطان عبد الحفيظ أنه كان يسعى إلى لإحداث تغيير جذري في السلطة لصالحه، وذلك من خلال محاولته للإستيلاء على منصب أخيه[2] فعندما انتشرت ضد عبد الحفيظ سنة 1906م لاتهامات وشائعات، أرسل السلطان عبد العزيز قوات عسكرية للقبض عليه، في تلك الأثناء بدأ عبد الحفيظ الأخير باتخاذ الاحتياطات اللازمة لحماية نفسه، منتظرا الفرصة المناسبة لإعلان تمرده[3] في الجهة المقابلة، وجد عبد الحفيظ في المدعو المدني الجيلاوي، زعيم قبيلة جيلاوة المعروفة بشجاعتها في الجنوب أقوى حليف له بعد أن قرر التخلي عن خدمة عبد العزيز.[4]

---

[1] إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، من نشأة الدولة العربية إلى إقرار الحماية،ج 3، ط2، دار الإرشاد الحديثة، المغرب، 1994، ص325.

[2] عبد الكريم غلاب، المرجع السابق، ص159.

[3] محمد القبلي، المرجع السابق، ص509.

[4] إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص325.

كما مثل ميثاق الجزيرة الخضراء، لاسيما مصادقة عبد العزيز على بنوده فرصة ثمينة للتيار الذي تزعمه عبد الحفيظ. إذ استغل هذا الأخير هذا الموضوع ونشط في التحريض ضد المخزن متهما هذا التيار بالسعي لمساعدة الفرنسيين على احتلال المغرب وتغيير الدين. فقد ساهمت هذه الدعاية في تحريض القبائل على الثورة ضد كل من السلطان عبد العزيز والجيش الفرنسي.

بعدما احتلت فرنسا مدينة وجدة والدار البيضاء قرر عبد الحفيظ استغلال هذه الأحداث وتحريض القبائل على التمرد.[1] وكان له ما أراد حيث قررت القبائل الحوزية خلع البيعة عن السلطان عبد العزيز، وذلك بدعوى عجزه عن الدفاع عن البلاد ضد المعتدين لتعلن ولاءها لأخيه عبد الحفيظ.[2] وذلك في 16 أوت من سنة 1907. منذ هذا التاريخ عمل عبد الحفيظ في استقطاب المزيد من الأنصار[3] مؤكدا عزيمته على الجهاد لطرد النصارى من البلاد.[4]

كما استعان عبد الحفيظ ببعض القادة الكبار الذين بايعوه ثم بدأ يأخذ طريقه نحو فاس[5] إذ في الرابع من جانفي 1908 أعلن سكان فاس خلع البيعة من السلطان عبد العزيز متهمين اياه بالعجز عن إدارة شؤون البلاد. لتعلن خضوعها وولائها لأخيه عبد الحفيظ فحاول عبد العزيز استعادة ولاء سكان فاس ومكناس.[6]

لم يستسلم عبد العزيز للأمر الواقع بل سعى بكل الوسائل والسبل لاسترجاع ملكه. فنظم لأجل ذلك حملة عسكرية ضد قبائل الحوز وكذا مدينة مراكش لاستعادة السيطرة على

---

[1] محمد القبلي، المرجع السابق، ص509.

[2] محمد الأمين، محمد علي الرحماني، المفيد في تاريخ المغرب، دار الكتاب، الدار البيضاء، ص250.

[3] إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص328.

[4] محمد الأمين، محمد علي الرحماني، المرجع السابق، ص250.

[5] عيد الكريم غلاب، المرجع السابق، ص159.

[6] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص361.

الاوضاع[1]. كما خاض حرب شرسة ضد شقيقه في منطقة بوعجيبة، إلا أنه تعرض للهزيمة. فكانت هذه معركة النقطة الحاسمة بين الأخوين. حيث أدرك عبد الحفيظ أنه حقق انتصاره بشكل نهائي، مما أتاح له تحقيق حلمه في ولاية العرش[2] في المقابل كانت هذه الضربة قاضية لعبد العزيز، الذي تخلى تماما عن محاولات المقاومة لإعادة السيطرة على الوضع وانتهى به المطاف رهينة في يد المحتلين بعد أن استولى هذا الأخير على كل ما يملكه بينما لم يقدموا له في المقابل سوى أوهام كاذبة.[3] ظل في منفاه بمدينة طنجة حتى وافته المنية 1943م.[4]

لقد أدى التنافس والصراع على العرش إلى وقوع أحداث مأساوية وتأزم الوضع في البلاد.[5] مما أسفر عن انقسام حاد في الرأي العام المغربي. فقد وقف الأثرياء ورؤساء الأموال وكثير من الوجهاء إلى جانب المولى عبد العزيز مؤكدين أنه غير مسؤول عما حدث في المغرب واعتبروا أن المسؤولية تقع على عاتق مجموعة من عديمي الضمير الذين استولوا على المناصب في أصعب لحظات البلاد، في المقابل، كانت هناك مجموعة من الفقهاء والعلماء بقيادة الزعيم المغربي محمد بن عبد الكبير الكتاني. الذين رأوا أن المولى عبد العزيز يتحمل مسؤولية الكاملة وأن عليه التخلي عن الحكم بعدما أكد فشله الذريع في تسيير شؤون البلاد والعباد وحمايتها من الخطر الأجنبي.[6]

---

[1] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص361.

[2] عبد الكريم غلاب، المرجع السابق، ص ص 159 – 160.

[3] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص161.

[4] عبد الكريم غلاب، المرجع السابق، ص160.

[5] محمد الأمين، محمد علي الرحماني، المرجع السابق، ص250.

[6] أبن عبد السلام، المرجع السابق، ص ص 116 – 117.

2. تولي عبد الحفيظ الحكم والصعوبات التي واجهها

بعدما تمت البيعة لعبد الحفيظ الذي كان يعيش في راحة بمراكش بعيدا عن تكتيكات الوزراء ومكائد السفراء ومؤامرات الأعداء، سعى جاهدا للبحث عن الشرعية. ورغم أنه حصل عليها إلا أنها جاءت مشروطة بشروط صعبة.[1] من أبرزها:

- بذل الجهود لاستعادة الأراضي المقتطعة من الحدود المغربية
- العمل على طرد الجيش المحتل من المناطق التي استولى عليها.
- ينبغي عليه السعي الجاد لإلغاء معاهدة الجزيرة.
- يجب عليه أيضا العمل على إلغاء الامتيازات الأجنبية.
- عدم استشارة الأجانب في شؤون الأمة.
- لا ينبغي إبرام أي عقود سلمية أو تجارية مع الأجانب إلا بعد أخذ رأي الأمة.[2]

خفت حدة العاصفة وسمحت الفرصة للسلطان الجديد للبدء في تنفيذ وعوده.[3] إذ أصبح المولى عبد الحفيظ في مواجهة مباشرة مع التحديات الرئيسية التي كان يتعين عليه معالجتها، ومن أبرزها قضية الاحتلال والاعتراف الدولي بسلطته، بالإضافة إلى الصعوبات الداخلية[4]، والتي تجلت في استمرار الأزمة المالية.[5] نظرا لما تتعرض له الميزانية ومصادر الدخل الأساسية من مراقبة خارجية ووجود ديون متراكمة، بالإضافة إلى الاضطرابات والثورات التي اندلعت في مختلف الأماكن لاحتلال القوات الفرنسية لمساحات شاسعة من البلاد في الشرق والغرب و سيطرة القوات الإسبانية على سبة ومليلية[6]، ويقدم سليماني بن

---

[1] الطيب بياض، المخزن والضريبة...، المرجع السابق، ص301.

[2] علال الفاسي، الحركات استقلالية...، المصدر السابق، ص97.

[3] محمد الامين، محمد علي الرحماني، المرجع السابق، ص250.

[4] محمد القبلي، المرجع السابق، ص510.

[5] عبد الخالق كموني، حيثيات فرض الحماية الفرنسية على المغرب والموقف الرسمي منها، مدارات تاريخية، مج: 2، ع:5، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس المغرب، مارس 2020، ص182.

[6] شوقي عطا الله جمل، المرجع السابق، ص ص 326-327.

الأعرج شهادة معبرة عن هذه الوضعية فكتب يقول بهذا الصدد ما نصه :"**بويع هذا السلطان (عبد الحفيظ) بمدينة مراكش والأحوال في غاية الاضطراب وقد أحاط بالمغرب من المصائب العجب العجاب وبيت المال أنقى من الكف والمشاكل السياسية زاحفة على الوطن بالصف والتداخل الأورياوي بلغ النصاب وإنما يتذكر أولوا الألباب**"[1]

لقب عبد الحفيظ بسلطان الجهاد الذي أكسبه خلال حملته الدعائية ضد أخيه عبد العزيز حيث كان عليه أن يسعى جاهدا للحفاظ على هذا اللقب من خلال تنفيذ برنامج طموح يتسم بالتحدي، الأمر الذي يعد ضرورة ملحة لأنقاد ما أفسده أخوه.[2] لكن يلاحظ أنه لم يتناول مسألة الجهاد بشكل كامل، فلم يعلن الحرب على فرنسا بل اكتفى بالدعوة لهذا الأمر فقط، كما لم يحث الناس على الجهاد بعد أن شجعهم في البداية على قتال المحتلين كما فعل في منطقة الشاوية وغيرها...الخ.[3]

ثانيا: انعكاسات الانتفاضة على المدى البعيد

لم تقتصر أثار انتفاضة الشاوية على المرحلة الفورية، بل تجاوزت ذلك لتساهم في تمهيد الطريق نحو فرض الحماية الفرنسية على المغرب في عام 1912م كما أسهمت هذه الانتفاضة في احياء روح المقاومة الشعبية، والتي ستتجلى لاحقا من خلال عدد من الحركات البطولية أبرزها مقاومة عبد الكريم الخطابي في منطقة الريف.

1. حصار فاس وأزمة أغادير: بين التدخل الفرنسي وتفاقم الأزمة المغربية

كانت رغبة المولى عبد الحفيظ في تحقيق الانفراج والحفاظ على استقلال المغرب كانت تتناقض مع الأهداف الاستعمارية وعندما أدرك عدم قدرة المغاربة على طرد القوات

[1] الطيب بياض، المخزن والضريبة، المرجع السابق، ص302.

[2] المرجع نفسه، ص302.

[3] محمد القبلي، المرجع السابق، ص510.

الفرنسية من الشاوية لجأ إلى التفاوض، خصوصا في ظل حاجته إلى الاعتراف الدولي.[1] وبهذا أظهر عجزه بشكل أكبر من السابقة عبد العزيز[2] فثارت قبائل بني مطير وكروان وزعير وبني حسن والشرادة ضد السلطان عبد الحفيظ، محاصِرةً إياه في فاس، إذ لم تعد تعتبره سلطان الجهاد، بل أطلقت عليه لقب سلطان الفرنسيين، وفي أعقاب هذه الأحداث، أعلن المولى الزين بن الحسن الأول ثورته على شقيقه عبد الحفيظ، وجرى بيعة السلطان على المغرب في مدينة مكناس[3]، ولم يجد السلطان وسيلة للخروج من مشكلته إلا طلب المساعدة من الجيش الفرنسي الذي كان محتلا للدار البيضاء فتلقى دعمه على الفور عام 1911م، فسارعت الدبلوماسية الفرنسية في لإعطاء الضوء الأخضر للجيش الفرنسي في إطار التعاون العسكري الفرنسي المغربي[4]، فتدخلت القوات العسكرية وقامت بالزحف نحو فاس، حيث دارت معارك عنيفة بين الثوار والقوات الفرنسية، وقد حققت الأخيرة انتصارا ساحقا نتيجة لعدم تكافؤ القوى، وفي 21 مايو 1911، دخل الجنرال موانيه إلى المدينة، مما أكد السيطرة الفرنسية على البلاد.[5]

وبعد انتهاء المهمة شكر السلطان الجنرال موانيه (Muani) وطلب منه توجيه الشكر للحكومة الفرنسية. فيما ذكرت بعض الروايات التاريخية أن السلطان طلب من السلطات الفرنسية الإبقاء على وحدة من الجيش الفرنسي في فاس للحماية خوفا من عودة الفتنة.[6] في تلك الأثناء استثمرت إسبانيا الفرصة وانطلقت جيوشها عبر البحر، حيث تمكنت من احتلال

[1] محمد القبلي، المرجع السابق، ص510.

[2] محمد الأمين، محمد علي الرحماني، المرجع السابق، ص251.

[3] محمد على داهش، محمد بن عبد الكريم الخطابي صفحات من الجهاد والكفاح المغربي ضد الاستعمار، ط1، دار شؤون الثقافية العامة، بغداد، 2002، ص32.

[4] عبد الخالق كموني، المرجع السابق، ص182.

[5] محمد علي داهش، المرجع السابق، ص32.

[6] محمد الأمين، محمد علي الرحماني، المرجع السابق، ص ص 251 – 252.

العرائش، تلتها احتلال القصر الكبير[1]، كما واجهت فرنسا دخولها إلى مدينة فاس بمقاومة قوية من قبل الألمان، الذين أرسلوا البارجة الحربية بانثر، وقد ربطت ألمانيا مغادرة هذه البارجة بخروج القوات الفرنسية من فاس وانسحاب الإسبان من مدينة العرائش، وقد أسفر ذلك عن إقامة مفاوضات في نوفمبر من عام 1911، حيث وافقت فرنسا على التنازل عن حوض الكونغو لصالح ألمانيا، مما أتاح لها التخلص من آخر عقبة تعترض طريق فرض الحماية[2]، وبذلك تفطن عبد الحفيظ متأخرا للفخ الذي وقع فيه وهيهات أن ترحم الذئاب الجائعة فريستها وقد ظفرت بها بعد جهد وتنافس خطير.[3]

2. فرض الحماية الفرنسية على المغرب سنة 1912م

كانت استعانة عبد الحفيظ بالجيوش الأجنبية سببا رئيسيا في إعلان الحماية على البلاد. فبعد هذا الحدث تقدم القائد الفرنسي الجنرال موانيه (Muani) إلى السلطان نيابة عن دولته عرضا تمثل في قبول الحماية الفرنسية على المغرب. وفي ظل الضغوط المتزايدة انكب عبد الحفيظ على دراسة بنود هذه الاتفاقية على مدار خمسة أشهر.[4] وبعد جولة من المفاوضات والمناقشات توصل الطرفان إلى توقيع عقد الحماية في 30 مارس 1912م شملت هذه المعاهدة على تسع مواد[5].

والجدير بالذكر أن السلطان لم يوافق على الاتفاقية إلا بعد تلقيه رسالتين رسميتين من الدولة الفرنسية بضمان وضع لائق للسلطان وتخصيص مبلغ مالى تحت تصرفه لسداد ديونه الشخصية، بالإضافة إلى إنشاء مستشفى يحمل اسمه وتأسيس مدرسة علمية كجزء

[1] شوقي عطا الله جمل، المرجع السابق، ص327.
[2] محمد علي داهش، المرجع السابق، ص33.
[3] محمد الأمين، محمد علي الرحماني، المرجع السابق، ص252.
[4] المرجع نفسه، ص ص 252 – 254.
[5] محمد القبلي، المرجع السابق، ص515.

من الالتزامات الفرنسية السابقة. أما الرسالة الثانية، فقد تضمنت تأكيد حماية فرنسا لشخص السلطان وعائلته في حال اختار التنازل عن الحكم وارتأى أن يعين خلفا له. فحصل عبد الحفيظ على حق التنازل[1].

تضمنت معاهدة الحماية لفرنسا حقوقا عدة من بينها نذكر:

- إقامة نظام جديد الإصلاحات الإدارية والقضائية والاقتصادية والمالية والعسكرية.
- منحت لها الحق في احتلال أي أرض مغربية تراها ضرورية للحفاظ على الأمن والسير الحسن للتجارة.
- كلفت المعاهدة لها الحق التمثيل الخارجي، حيث يتم تعين مقيم عام وقائد عسكري لتمثيلها في المغرب.
- حصلت فرنسا أيضا على حق التصرف في الجزء الشمالي من المغرب لصالح إسبانيا.
- اعتبار مدينة طنجة منطقة دولية.[2]

وبهذا تم الإعلان عن غرض الحماية الفرنسية على المغرب وتولى المولى يوسف[3] الحكم عقب تنازل أخيه عبد الحفيظ له، ونتيجة لكل هذه المستجدات فقدت البلاد استقلالها ووقعت تحت سيطرة الأجانب.[4]

---

[1] فادية عبد العزيز القطعاني، المرجع السابق، ص45.

[2] المرجع نفسه، ص45.

[3] **السلطان يوسف ابن الحسن الأول:** هو أبو المحاسن بويع له بالرباط باشاروا من أخيه عبد الحفيظ في 12 أوت 1912، بمحضر الأشراف والعلماء واعيان الدولة ووجهائها أهل الحل والعقد، بمكناس وفاس، توفي يوم 17 نوفمبر 1927. ينظر: عبد الرحمان بن زيدان، إتحاف أعلام الناس...، المرجع السابق، ص ص 126 – 127. للإطلاع على صورة المولى يوسف. ينظر: الملحق رقم 6، ص 120.

[4] محمد الأمين، محمد علي الرحماني، المرجع السابق، ص ص 254 – 256.

3. المقاومات الشعبية في المغرب (مقاومة محمد بن عبد الكريم الخطابي أنموذجا):

أظهرت معارك الشاوية أن المغاربة بالتزامن مع العديد من التحديات سيواصلون مقاومتهم بصمود رغم الإمكانيات المحدودة المتاحة لهم. وهو ما تجلى بالفعل في الواقع.[1] وكان عبد الحفيظ قد حذر الفرنسيين مسبقا حين صرح قائلا: "احذروا أيها السادة إني أمثل شعبا لم يسبق له أن كان مستعمرة ولم يسبق له أن كان شعبا خاضعا ولا مستعبدا".[2] وتعتبر الفترة الزمنية الممتدة بين 31 مارس 1912م و12 ماي 1933م تعتبر نموذجا من الكفاح حيث أبدى غالبية السكان المغرب مقاومة شديدة بعد توقيع معاهدة الحماية.3 اذ بعدها مباشرة انطلقت حركة المقاومة في جميع المناطق خصوصا في نواحي تازة، حيث واجه الفرنسيون مقاومة عنيفة تحت قيادة الحجامي.[4]

[1] نور الدين فردي، المرجع السابق، ص30.

[2] عبد الخاق كموني، المرجع السابق، ص186.

[3] فادية عبد العزيز القطعاني، المرجع السابق، ص46.

[4] الطيب حجلي، المرجع السابق، ص372.

كما شهدت منطقة الأطلس المتوسط معارك عنيفة بين عامي 1911 و 1933م قادتها قبائل وأبطال كثيرون من بينهم موحا وحمو والزياني.[1] إذ حققت هذه القبائل انتصارا على قوات الاحتلال في معركة الهري إلى غاية استشهاد قائدها في عام 1921م. وفي الجنوب بدأت حركة المقاومة بالتحرك نحو الشمال تحت قيادة الشيخ أحمد الهيبة.[2] لكنها سجلت هزيمتها أمام الفرنسيين في معركة سيدي بوعثمان بالقرب من مراكش،[3] وفي منطقة درعة أظهرت المقاومة بقيادة بلقاسم النكادي شجاعة كبيرة في التصدي للقوات الفرنسية حتى عام 1934م. كما حققت قبائل ايت عطا انتصارا على الفرنسيين في معركة بوكافر بقيادة عسو ابسلام واستمرت المقاومة الى غاية استسلام زعيمها.

تعد هذه الملاحم نماذج من مختلف حركات المقاومة في المغرب إلا أن أبرزها كانت المقاومة الريفية.[4] وعند ذكر عبارة "حرب الريف"، يتبادر إلى الذهن تلك المعارك التي خاضها البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي.[5] والجدير بالذكر أن هذه الحرب تمثل بالفعل

---

[1] محمد الفلاح العلوي، ملاحظات حول المقاومة المسلحة بين فرض الحماية واستقلال المغرب، المقاومة المغربية ضد الاستعمار 1904 – 1955، المرجع السابق، ص115.

[2] **أحمد الهيبة:** هو ابن محمد مصطفى ماء العينين ولد 09 سبتمبر 1877م، نشأ في حاضرة السمارة، تعلم على يد والده، أوكلت إليه قيادة المقاومة ضد فرنسا و اسبانيا بعد وفاة والده سنة 1910، فكان الناصح و المرشد و الداعية المجاهد. ينظر: حماد ونور الدين، مبارك جعفري، أضواء على حركة التأليف في حاضرة السمارة أثار الشيخ أحمد الهيبة نموذجا (1335هـ – 1919م)، مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية، ع:17، مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا، ص597.

[3] فادية عبد العزيز قطعاني، المرجع السابق، ص372.

[4] الطيب حجلي، المرجع السابق، ص372.

[5] **محمد بن عبد الكريم الخطابي:** ولد في (1304هـ/1888م) ببلدية أجدير، كان والده السيد عبد الكريم من الفقهاء تولى القضاء في قبيلتهم، وفي سنة 1920م عزم على مواجهة الجيش الإسباني. اعتمد على حرب العصابات الحق خسائر فادحة بالجيش الإسباني والفرنسي. إلى غاية استسلامه ثم وفاته في شهر رمضان عام 1385هـ ينظر: عبد الله كنون، محمد بن عبد الكريم الخطابي، موسوعة مشاهير رجال العرب، ط2، مج: 05، دار الكتاب المصري، بيروت 1994، ص ص5–22. للإطلاع على صورة محمد بن عبد الكريم الخطابي. ينظر: الملحق رقم 7، ص 121.

المعركة الثالثة التي خاضها أهل الريف[1] في تلك المنطقة خلال العصر الحديث فوقعت معركة سيدي ورياش في عام 1893م والتي يمكن اعتبارها البداية الفعلية للنشاط الثوري في منطقة الريف، تلتها معركة قادها البطل الشريف أمزيان في عام 1909م.

وأخيرا كانت الحرب التي استمرت من عام 1921م حتى عام 1926م والتي تميزت بشراستها وقوة مقاومتها.[2] كان قائدها كما ذكرنا سابقا المجاهد المبرور بطل الريف وموقد نار الثورة على الاستعمار الغربي في إفريقيا وآسيا محمد بن عبد الكريم الخطابي.[3] الذي اشتهر بعدة ألقاب منها أسد الريف، أسد المغرب، بطل الريف وأمير الريف[4] ينتسب هذا الأخير إلى أسرة الخطابي من بيوتات الريف وصاحبة الزعامة في قبيلتها بني رورو ياغل.[5] كانت لديه خلفية ثقافية عربية لأنه نشأ في بيئة دينية تحت رعاية والده عبد الكريم[6] الذي قام قام بتعليمه اللغة العربية وتحفيظه القران الكريم[7] وفي عام 1905م أرسله والده إلى جامعة القرويين بفاس[8] حيث درس هناك وحصل على جائزة العلوم الدينية من تلك المؤسسة العريقة.

---

[1] **الريف:** يطلق هذا الإسم على سلسلة جبال تمتد في شكل هلال من سبتة إلى مليلية، كانت عبارة عن مركز لحركة المقاومة الكبرى ضد الاحتلال الاسباني بقيادة البطل عبد الكريم الخطابي وابنه محمد. ينظر: الصديق ابن العربي، المرجع السابق، ص145.

[2] محمد العربي المساري، محمد ابن عبد الكريم الخطابي من القبيلة إلى الوطن، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2012، ص10.

[3] عبد الله كنون، المرجع السابق، ص5.

[4] محمد الحسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، ج2، مؤسسة الحسن الوزاني، ص29.

[5] **بني رورو ياغل:** هي قبيلة تقطن في الشمال الشرقي في بلاد الريف، وهي أكبر القبائل عددا وأعظمها نفوذا وأشدها شجاعة. ينظر: رشدي صالح ملحس، سيرة الأمير عبد الكريم الخطابي بطل ريف ورئيس جمهوريتها، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1343هـ، ص26.

[6] **عبد الكريم الأب:** هو قاضي شرعي بمدينة مليلة وهو معروف بعلمه وتقواه. ينظر: رشدي صالح ملحس، المرجع نفسه، ص26.

[7] رشدي صالح ملحس، المرجع نفسه، ص26.

[8] محمد الحسن الوزاني، المصدر السابق، ص30.

كما كان يمتلك خلفية ثقافية أوروبية. نتيجة سفره إلى إسبانيا والتحاقه بالجامعة هناك حيث نال منها شهادة في الحقوق والآداب[1] بالإضافة إلى ذلك عمل في عدة وظائف بناء على طلب من إسبانيا[2] ويرجع ذلك إلى المكانة المرموقة التي كان يتمتع بها عبد الكريم (الأب) وكلمته المسموعة من قبيلته. لذا عملت إسبانيا على تعزيز الروابط مع أسرة الخطابي مثلا مع محمد بن عبد الكريم الخطابي. مما جعلها الأسرة الوحيدة في الريف التي تواصلت مع السلطات الإسبانية. لأنهم كانوا يرون ضرورة الاستعانة بدولة أجنبية تدعم المغرب في تنفيذ الإصلاحات الضرورية معتبرين أن إسبانيا أضعف من أن تتمكن من السيطرة على الريف.

في الوقت ذاته، كانت إسبانيا تحقق تقدما ملحوظا كما أن احتكاك محمد بن عبد الكريم الخطابي بالاستحقاقات الوظيفية أكسبته تكوينا سياسيا واسعا واطلاعا واسعا على سياسة الإسبانية الذي تأكد له لاحقا أنها ستغير أسلوبها اتجاه أهالي الريف[3] وبالفعل اتبعت إسبانيا سياسة التغلغل وتوسيع نفوذها في الأرياف مما دفع عبد الكريم الأب إلى إعلان تمرده وشرع في تعبئة الحشود والدعوة إلى الجهاد. ومن جانبها اتخذت إسبانيا عدة إجراءات منها اعتقال ابنه محمد ونقله إلى السجن بحجة انتقاداته للسياسة الإسبانية في المنطقة.[4]

التحق محمد بوالده وباشر المقاومة ضدهم بعد وفاة والده أي أنه أخذ مشعل المقاومة[5] وقد اتبع أسلوبا عسكريا فريدا من نوعه في تلك الفترة، وهو أسلوب حرب العصابات[6] أو حروب الكمائن[1] ومن بين أبرز هذه المعارك نذكر معركة أدهار أو أبران

[1] رشدي صالح ملحس، المرجع السابق، ص26.
[2] محمد الحسن الوزاني، المصدر السابق، ص26.
[3] محمد العربي المساري، المرجع السابق، ص ص 26 – 27.
[4] أحمد بو عياشي، حرب الريف التحررية ومراحل النضال، ج1، دار الأمل طنجة، 1944، ص ص 84 – 86.
[5] محمد على داهش، المرجع السابق، ص99.
[6] يوسف بوستي، المختصر في تاريخ المغرب، أفريل 2019، ص31.

التي وقعت في 01 جوان 1921م ثم في اليوم التالي وقعت معركة في موقع سيدي ادريسّ تلتها معركة أغريت في 17 جوان، ثم معركة سيدي إبراهيم في السنة نفسها، ويأتي على رأس هذه المعارك معركة أنوال[2] التي وقعت في 21 جويلية 1921م[3] والتي كان لها أثر كبير في الكيان الإسباني وعرقلت توغلهم في المنطقة حتى وصل صداها إلى مختلف أنحاء العالم.

من أجل إجهاض مشروع المقاومة أرسل الجنرال سلفستر (Selvister) قوة عسكرية مكونة من 24 ألف جندي مجهزين بالأسلحة والمدافع والرشاشات، حيث دارت معارك عنيفة حيث شهدت ساحة المعارك اشتباكات عنيفة بين القوات المغربية والجيش الإسباني، وأسفرت عن سقوط[4] ألاف القتلى من بينهم الجنرال سلفستر، بالإضافة إلى وقوع الكثير من الأسرى من بينهم الجنرال نافارو (Navaro). كما نجح المغاربة في في الاستحواذ على أسلحتهم ومواد عسكرية أخرى. وقد مكنت هذه المعركة محمد بن عبد الكريم الخطابي من تحقيق انتصار عسكري أجبر الأسبان على الدخول في مفاوضات معه، بهدف استرجاع الأسرى كل هذه الانتصارات والانجازات عززت من ثقة الناس في شخص محمد ابن عبد الكريم الخطابي وجمعت حوله الكثير من المؤيدين والمناصرين لحركته الجهادية.[5]

شكلت معركة أنوال أزمة كبيرة للجيش الإسباني، حيث أثرت الأزمة بشكل كبير على حياة العامة في إسبانيا، مما أدى إلى استنزاف ميزانيتها وضعف قوتها البشرية. من جهة

---

[1] محمد علي داهش، المرجع السابق، ص161.

[2] **أنوال:** جبل من جبال الريف اشتهر بعد المعركة التي ألحق فيها البطل عبد الكريم هزيمة نكراء بجيش الجنرال الاسباني سلفستر سنة 1921م خلال الحرب الريفية الشهيرة. ينظر: الصديق ابن العربي، المرجع السابق، ص ص 56 – 57

[3] عبد العزيز بودرة، محمد ابن عبد الكريم في مواجهة التدخل الامبريالي، دورية كان التاريخية، ع:27، مارس 2015، ص38.

[4] أحمد اسماعيل راشد، تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر (ليبيا. تونس. الجزائر. المغرب. موريتانيا)، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2004، ص211.

[5] عبد العزيز بودرة، المرجع السابق، ص39.

أخرى. سارع الريف لإعلان الثورة لتحرير الوطن، حيث كانت هذه الهزيمة بمثابة الأداة الفعالة التي منحت عبد الكريم الوسائل المادية لتنظيم جيش معد بشكل جيد.[1]

استمرت المعارك ضد الأسبان مثل معركة الحسيمة[2] ومعركة عريت وغيرها، حيث خاض عبد الكريم حوالي 300 معركة بنفسه[3] مني خلالها الجيش الاسباني بهزائم متكررة نهاية عام 1924م ، فقد الأسبان جميع الأراضي التي احتلوها منذ عام 1912م ومع ذلك استمروا في التمسك بالمنطقة القربية من السواحل.[4]

نتيجة لهذه الانتصارات بدأت فرنسا تشعر بالقلق على ممتلكاتها في المغرب[5] وخاصة وخاصة بعد أن مني الجيش الفرنسي بأشد الهزائم على يد الجيش الريفي خلال الأشهر الثلاث الأولى من أفريل حتى جوان 1925م[6] وعليه طلبت فرنسا من إسبانيا فرض حصار مشترك وإجراء عمليات عسكرية ضد الريف وعلى الرغم من أن فرنسا منذ بداية الثورة الريفية، كانت تأمل في استغلال الحرب الإسبانية الريفية لتحصيل مكاسب على حساب الأسبان، اذ بلغت الأمور بالفرنسيين إلى حد تزويد الريفيين بالسلاح[7] كما تلقت إسبانيا نبأ اندلاع الحرب الريفية الفرنسية بارتياح كبيرا مما يدل على تبادل المواقف بين الدولتين. الا أن في نهاية المطاف اتحدت مع إسبانيا لوقف مسار المقاومة المسلحة في الريف.[8]

---

[1] أحمد اسماعيل راشد، المرجع السابق، ص211.

[2] **الحسيمة:** يطلق هذا الاسم على إقليم من أقاليم الريف عاصمته مدينة الحسيمة التي كانت تدعى من قبل بالمزمة. بنظر: الصديق ابن العربي، المرجع السابق، ص124.

[3] عبد العزيز بودرة، المرجع السابق، ص39.

[4] أحمد اسماعيل راشد، المرجع السابق، ص213.

[5] المرجع نفسه، ص214.

[6] محمد خورشيش، المقاومة الريفية، الشركة العربية للنشر والتوزيع، طنجة، 1999، ص24.

[7] أحمد اسماعيل راشد، المرجع السابق، ص214.

[8] محمد خورشيش، المرجع السابق، ص27.

وبفضل قوة وصمود المغاربة اتفقت فرنسا وإسبانيا على تكثيف جهودها لاجهاض مشروع المقاومة، فبدأت المفاوضات في شهر يوليو من عام 1925م[1] لتعزيز قوتهما المشتركة عقب هذا الاتفاق شهدت وضعية الريف تدهورا ملحوظا نتيجة للهجمات التي أنهكت صفوف الريفيين ونتيجة لذلك طلب هؤلاء الدخول في مفاوضات سلمية مع القوتين مما أدى في نهاية المطاف إلى استسلام محمد بن عبد الكريم الخطابي، لكن بقي هذا الأخير مثالا يقتدي به لنضال الشعوب العربية والإسلامية ضد القوات المحتلة واكتسب احترام الجماهير العربية بل وحتى إعجاب أكثر أقطار العالم لكفاحه ونضاله من أجل تحرير وطنه.[2]

من خلال ما تم ذكره سابقا توصلنا لعدة استنتاجات أهمها:

- أظهرت انتفاضة الشاوية تباينا سياسيا داخليا لاسيما بين السلطان عبد العزيز وأخيه عبد الحفيظ. وقد أسهم ذلك في إضعاف المخزن وتسريع التحولات العميقة في نظام الحكم.
- برزت عدد من القبائل كحلفاء فاعلين في دعم الشاوية. مما يعكس الروح التضامنية المحلية اتجاه الاستعمار ورفض التدخل الأجنبي.
- تظهر ردود الفعل الفرنسية طابعا قمعيا بالغ الشدة حيث لجأت إلى تعزيز تواجدها العسكري بشكل كبير. واتبعت سياسات تجويع السكان وتجريدهم من أراضيهم. مما يكشف عن نواياها الخفية في فرض سيطرتها الكاملة.
- عبرت ألمانيا عن موقف حذر يجمع بين تقديم دعم معنوي غير مباشر في الأوساط العامة والالتزام الرسمي بعدم التصعيد.
- ساهمت هذه الانتفاضة بشكل ملحوظ في تعزيز موقع عبد الحفيظ وإضعاف بيعة عبد العزيز مما مهد الطريق لتغيير في القيادة المخزنية.

[1] جلال يحي، أعلام العرب، دار الكتاب العربية للطباعة والنشر، مصر، 1968، ص77.

[2] أحمد اسماعيل راشد، المرجع السابق، ص ص 214 – 216.

- شكلت انتفاضة الشاوية مصدر إلهام لحركات المقاومة في مختلف مناطق المغرب لاسيما في نواحي تازة ومنطقة الأطلس المتوسط، ودرعة والجنوب. ومن بين أبرز هذه الحركات مقاومة محمد ابن عبد الكريم بالريف.
- تعتبر مقاومة محمد ابن عبد الكريم الخطابي نموذجا بارزا في تاريخ النضال ضد الاستعمار. حيث أحرجت القوات الفرنسية ولاسبانية ولولا تضافر جهود هاتين الدولتين لكان من الصعب عليها مواجهة هذه المقاومة رغم الامكانيات المتواضعة التي كانت بحوزته.

الخاتمة

بعد هذا المسار البحثي الذي حاولنا من خلاله عرض أحداث انتفاضة الشاوية سنة 1907م وفهم أبعادها وسياقها التاريخي، نصل إلى محطتنا الأخيرة، حيث تقتضي الضرورة أن نتوقف لنتأمل في أهم ما توصلنا إليه من نتائج لعل من أهمها نذكر:

- تقع بلاد الشاوية في شمال غرب المغرب، حيث تتميز بشساعة سهولها وخصوبة تربتها الثرية، مما جعلها منطقة زراعية بارزة، خاصة في مجال زراعة الحبوب وتربية المواشي. وبفضل تنوع مواردها المائية ومناخها المتوسطي شبه الجاف، أصبحت هذه المنطقة وجهة جذابة للقبائل وذلك عبر كل العصور.
- عرفت المنطقة قيد الدراسة بعدة مسميات حتى استقر بها الاسم الحالي وهي "الشاوية".
- لم تكن منطقة الشاوية مجرد منطقة غنية بالأراضي الزراعية فحسب، بل كانت أيضًا مركزًا حيويًا للقبائل ذات النفوذ والقوة، مما جعلها هدفًا مباشرًا للطموحات الاستعمارية لاسيما من قبل فرنسا التي اعتبرت السيطرة على هذه المنطقة مدخلًا لتوسيع نفوذها داخل المغرب.
- أسهمت الظروف العامة خلال الفترة قيد الدراسة إلى إنتاج بيئة ملائمة لاندلاع الانتفاضة، إذ كان المغرب يعاني من سلسلة متتابعة من الأزمات الداخلية، تمثلت في ضعف البنية الاقتصادية وتراجع سلطة المخزن، بالإضافة إلى الانقسامات داخل السلطة الحاكمة، خاصة بعد الانقلاب الأبيض الذي قاده المولى عبد الحفيظ ضد أخيه السلطان عبد العزيز، كل هذه الأوضاع أدت إلى نشوء فراغ سياسي استغلته القوى الأجنبية لتنفيذ طموحاتها التوسعية في المغرب عموما، وفي الشاوية على وجه الخصوص.
- ساهم الصراع الفرنسي الإسباني حول مناطق النفوذ في المغرب في تأزم الوضع بشكل أكبر. حيث سعت فرنسا على تعزيز وجودها في وسط وغرب المغرب، بينما سعت إسبانيا إلى توسيع نطاق سيطرتها في الشمال. وقد أدى هذا التنافس إلى تحويل الأراضي

المغربية إلى ساحة لتجاذب القوى الكبرى، بما في ذلك ألمانيا. وتوجت هذه التطورات بانعقاد مؤتمر الجزيرة، الذي أسفرت قراراته عن صدمة وخيبة أمل كبيرة للمغاربة.

- أدى احتلال فرنسا لمدينتي الدار البيضاء و وجدة عام 1907 م إلى تصاعد حدة التوتر، حيث مثل الاحتلال العسكري للدار البيضاء بداية مباشرة لاندلاع الانتفاضة في الشاوية، بينما كان احتلال وجدة مؤشراً على التصعيد العسكري الفرنسي على مستوى الجهة الشرقية بالتوازي مع التوسع غربا.
- كانت الاستجابة القبلية منظمة وموحدة لصد التوغل الفرنسي في المنطقة، حيث شاركت فيها مختلف الفئات من الرجال والنساء، وفقًا لما أكدت عليه قبائل الشاوية في مواجهة العدوان. وقد اعتمدت هذه القبائل على ارتباطها بالأرض والدين، دون انتظار دعم رسمي من المخزن.
- اتسمت المعارك التي خاضتها مختلف القبائل المغربية عموما وقبائل منطقة الشاوية بشكل خاص بشجاعة نادرة، رغم الفوارق الكبيرة في القوة والعتاد. وقد أبرزت هذه المواجهات دورها ليس على المستوى الاقتصادي كما كان معتادًا، وإنما من خلال دفاعها عن الوطن وقوتها العسكرية، على الرغم من الإمكانيات المحدودة، مما جعلها تسجل في الذاكرة الشعبية كتعبير عن المقاومة محتل الغاصب.
- شهدت هذه المنطقة عدة معارك كانت بداياتها في عهد الجنرال درود عام 1907م الذي عجز عن السيطرة على الأوضاع، مما أدى إلى عزله وتعيين الجنرال داماد مع بداية عام 1908م لمواجهة هذه التحديات. ولولا سياسته غير الإنسانية وإتباعه إستراتيجية الأرض المحروقة والتجويع المخالفة للقوانين والأعراف الدولية، لما تمكنت فرنسا من تثبيت أقدامها وفرض سيطرتها على هذا الإقليم.

- اتسم رد فعل السلطة المخزنية بالتردد والضعف، نتيجة للضغوط الدولية والانقسامات الحاصلة داخل البلاط. مما أدى إلى فقدان رجال الشاوية ثقتهم في المخزن وزيادة شعورهم بالعزلة، الأمر الذي أتاح لفرنسا تحقيق تقدم عسكري وسياسي في المنطقة.
- ردت فرنسا على هذه الانتفاضة من خلال تعزيز قواتها العسكرية واستخدام أساليب القمع والتعذيب وكل الوسائل المتاحة من أجل فرض سيطرتها على المغرب. في المقابل اعتبرت ألمانيا التوسع الفرنسي تهديدًا للتوازن الدولي، وقدمت دعمًا غير مباشر للانتفاضة في سعي منها للحفاظ على مصالحها.
- كانت انتفاضة الشاوية بمثابة إنذار مبكر للحماية، حيث تمثل أول مواجهة مباشرة بين السكان المحليين والجيش الفرنسي. وقد أسهمت هذه الانتفاضة في تسريع مشروع فرض الحماية على المغرب 1912م، خاصة بعد ظهور ضعف الدولة المركزية.
- لقد أظهرت الانتفاضة بشكل واضح التناقضات السائدة داخل المجتمع المغربي، حيث برزت فئة ارتبطت مصالحها بالقوى الأجنبية مقابل فئة شعبية ظلت مرتبطة بالأرض والسيادة الوطنية. كما كشفت عن بداية ظهور وعي جماعي لدى المغاربة بأن الاستعمار لا يمكن التصدي له إلا من خلال وحدة الصف والكفاح الميداني. وبهذا كانت هذه الانتفاضة بمثابة شرارة لظهور مقاومات كبرى، أبرزها مقاومة محمد بن عبد الكريم الخطابي في منطقة الريف، والتي ساهمت في تقليص سرعة التدخل الأجنبي.

وفي ختام هذا البحث نسأل الله أن نكون قد وفقنا في الإحاطة بجوانب هذا الموضوع بما يليق بأهميته وان نكون قد قدمنا إضافة علمية تسهم ولو يقدر بسيط في خدمة هذا المجال فإن أصبنا فبتوفيق من الله وإن أخطأنا فحسبنا أننا اجتهدنا والكمال لله وحده.

الملاحق

أ. ملحق الخرائط

ب. ملحق الصور

ملحق الخرائط

الملحق رقم (01): معركة فخفاخة 29 فيري 1908م.[1]

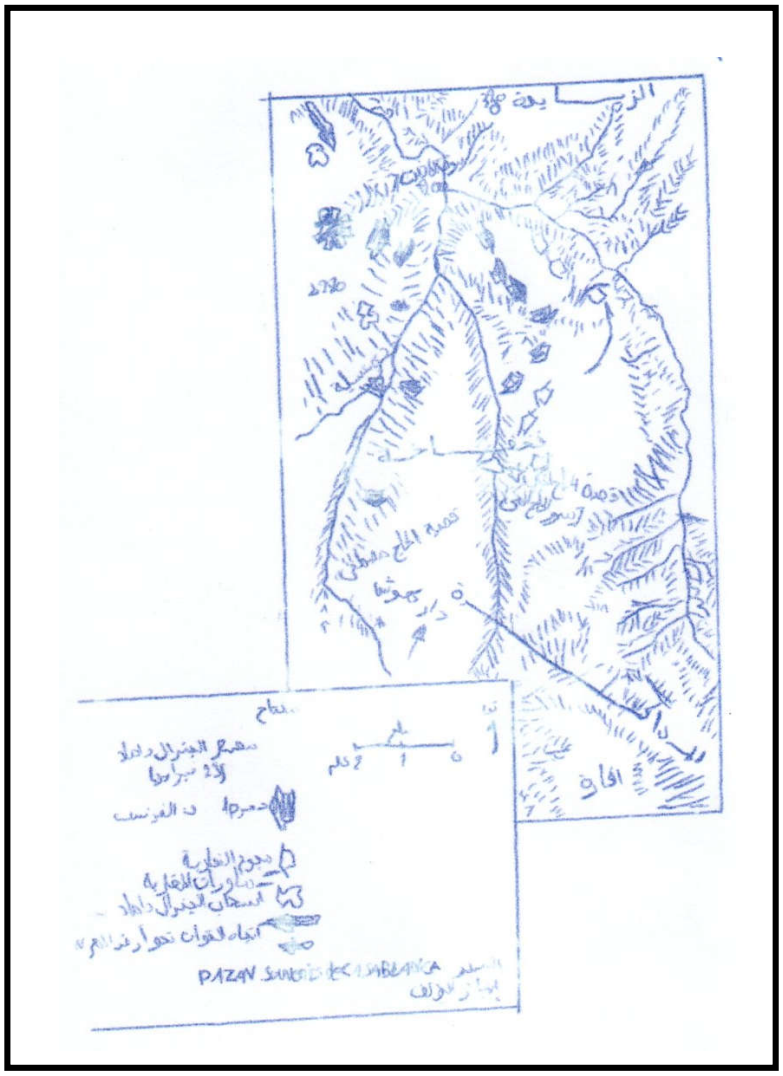

[1] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، المرجع السابق، ص 340.

الملحق رقم (02): أهم معارك قبائل الشاوية ضد الاحتلال الفرنسي 1907-1908م.[1]

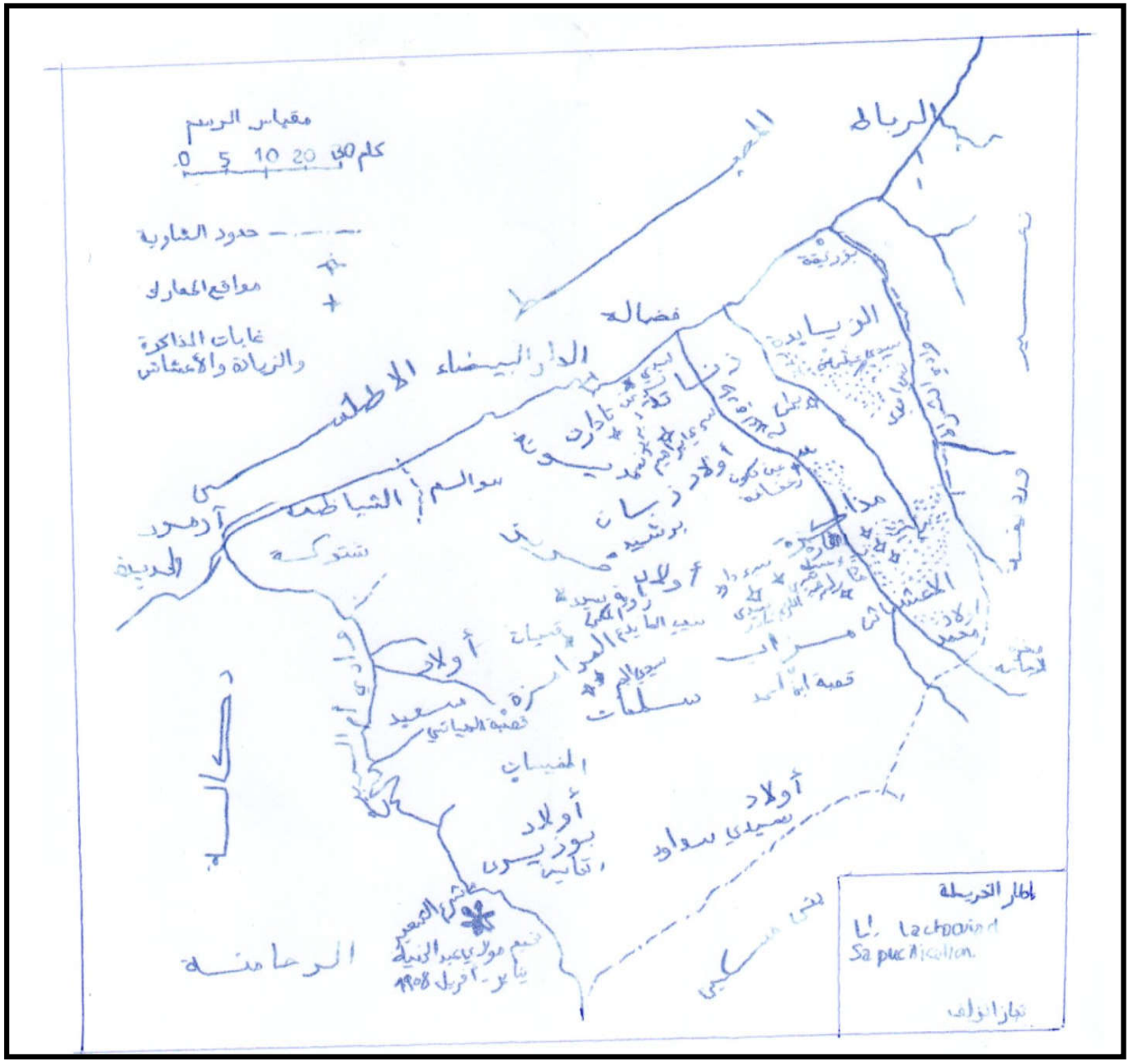

[1] علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب،المرجع السابق، ص 335.

ملحق الصور

الملحق رقم (03): صورة المولى السلطان الحسن الأول[1]

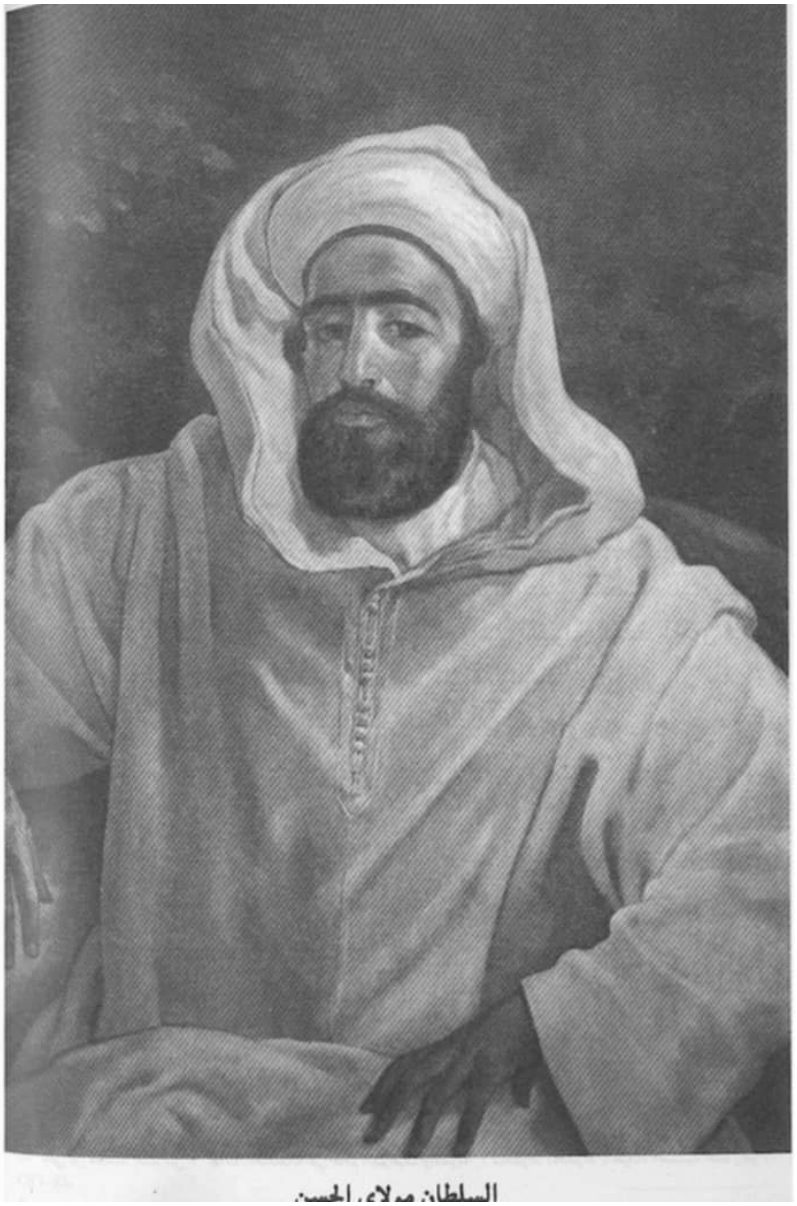

1 بهيجة سيمو، الإصلاحات العسكرية بالمغرب 1844-1912، المطبعة الملكية، الرباط، 1421هـ/2000م، ص148.

الملحق رقم (04): المولى عبد العزيز[1]

صورةُ السُّلطان مَوْلاي عبد العزيز بن السلطان مولاي الحسن الأول

[1] عبد الرحمان ابن زيدان العلوي، العلائق السياسية للدولة العلوية، تح: عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط 1420هـ/1999م، ص293.

الملحق رقم (05): المولى عبد الحفيظ[1]

السلطان مولاي عبد الحفيظ (1908-1912)

[1] بهيجة سيمو، المرجع السابق، ص231.

الملحق رقم (06): المولى يوسف[1]

صورةُ السُّلطان مَوْلاي يوسف بن السلطان مولاي الحسن الأول

[1] عبد الرحمان ابن زيدان العلوي، العلائق السياسية للدولة العلوية، المصدر السابق، ص378.

الملحق رقم (07): محمد بن عبد الكريم الخطابي[1]

مـنـاضـل مـن بـلادى

ابن عبد الكريم الخطابي بلباس الميدان سنة 1921

[1] أحمد البوعياشي، المرجع السابق، ص14.

قائمة

البيبليوغرافيا

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

أولا: المصادر:

1. ابن الخطيب لسان الدين، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب اعمال الاعلام، تح: احمد المختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني، الدار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م.

2. ابن خلدون عبد الرحمان، تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبرر ومن جاورهم من ذوي السلطان الأكبر (732-808ه)، ج:6.

3. ابن زيدان عبد الرحمان ، العلائق السياسية للدولة العلوية، تح: عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط 1420ه/1999م،

4. ابن زيدان عبد الرحمن، اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تح: علي عمر، ج2،ط1، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة 2008م

5. ابن زيدان عبد الرحمن، الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1937.

6. ابن العتيق ماء العينين، الرحلة المعينية 1938 ، تح: محمد الظريف المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 2006م.

7. الفاسي عبد الإله، مدينه الرباط وأعيانها في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين 1830 1912،منشورات جمعية الرباط.

8. الفاسي علال ، الحماية في مراكش من الوجهة التاريخية والقانونية ، مكتبة المغرب العربي، القاهرة، 1948 م.

9. الفاسي علال، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، دار الطباعة المغربية، تطوان.

10. الناصري أبو العباس احمد بن خالد، كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح :جعفر الناصري ومحمد الناصري ج: 4، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955.

11. وايسجربر فريدريك، على عتبة المغرب الحديث، تر: عبد الرحيم حزل، منشورات دار الامان، الرباط، 2011م.

12. الوزان حسن ، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي.

13. الوزاني محمد الحسن ، مذكرات حياة وجهاد، ج2، مؤسسة الحسن الوزاني.

ثانيا: المراجع:

أ. الكتب

14.الأسمهر محفوظ، تاريخ الاستعمار بالبادية المغربية خلال القرن العشرين ، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ، الرباط ،2010م.

15.ألبير عياش، المغرب والاستعمار: حصيلة السيطرة الفرنسية ،تر:عبد القادر الشاوي ونور الدين سعودي، دار الخطابي للطباعة والنشر، الرباط، 1985.

16.الأمين محمد. الرحماني محمد علي، المفيد في تاريخ المغرب، دار الكتاب، الدار البيضاء.

17.بوعياشي أحمد، حرب الريف التحررية ومراحل النضال، ج1، دار الأمل، طنجة، 1974.

18.بياض الطيب، المخزن والضريبة والاستعمار – ضريبة الترتيب (1600-1915)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2001.

19.بوستي يوسف، المختصر في تاريخ المغرب، أفريل 2019.

20.الجمل شوقي عطا الله، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث(ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)،ط:1، المكتبة الإنجلر المصرية,1977م

21.حركات ابراهيم ، المغرب عبر التاريخ من نشأة الدولة العربية الى إقرار الحماية، ج: 3، ط: 2،دار الإرشاد الحديثة، المغرب، 1994م.

22.حليفي شعيب ، المقاومة الوطنية في الشاوية، من الثورة إلى الانتفاضة ، ط1، مؤسسة تامسنا للدراسات والأبحاث حول الشاوية.،الدار البيضاء،1999م.

23.الخديمي علال، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب 1910 –1894 حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية، ط2، إفريقيا الشر ق،الدار البيضاء، 1994م.

24.خلوفي محمد الصغير، بوحمارة من الجهاد إلى التآمر المغرب الشرقي والريف من 1900 إلى 1909، دراسة وثائق، دار النشر و المعرف للتوزيع، الرباط، 1993.

25.خورشيش محمد ، المقاومة الريفية، الشركة العربية للنشر والتوزيع، طنجة، 1999.

26.داهش محمد علي، محمد بن عبد الكريم الخطابي: صفحات من الجهاد والكفاح المغربي ضد الاستعمار، ط: 1، شؤون الثقافية العامة، بغداد، 2002.

27.الدراجي بوزيان، القبائل الأمازيغية أدوارها وموطنها وأعيانها، ج2، ط4، 2010م.

28.الدراجي بوزيان، دولة الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، دار الكتاب العربي، القبة، الجزائر، 2007.

29.راشد أحمد إسماعيل، تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر(ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2004.

30.زيادي أحمد، انتفاضة الشاوية سنة 1907: دراسة وثائق تاريخية وملاحق أدبية، دار قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1996.

31.سعدون عباس نصر الله، دولة الأدارسة في المغرب – العصر الذهبي 176 – 636 هـ / 788 – 1835 م، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

32.سيمو بهيجة، الإصلاحات العسكرية بالمغرب 1844-1912,المطبعة الملكية ،الرباط،2000/1421

33.صلابي ابراهيم محمد والعيدي، البرغواطيون في المغرب، ط1.

34.عبد الله عبد العزيز، تاريخ المغرب العصر الحديث والفترة المعاصرة، ج2,مكتبة السلام،الدار البيضاء.

35.عبد محمد بن عبد السلام، تاريخ المغرب، ج2، المطبعة المهدية، تطوان، 1951.

36.العربي بن الصديق ، كتاب المغرب، ط3، دار الغرب الإسلامي – المغرب،1404هـ/1984م.

37.علال الخديمي، المغرب في مواجهة التحديات الخارجية (1947-1851)، دراسة في تاريخ العلاقات الدولية، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2011،

38.علي الصلابي محمد ، دولة الموحدون، دار البيارق، 2008.

39.فاضل جابر شمخي، القواعد اللهجية في كلام البدو والشاوية، العراق، 2012.

40.كريدية إبراهيم ، ثورة بوحمارة(1902 – 1909 م)، شركة الطبع والنشر، الدار البيضاء، م1994.

41.لي تورنو روجي، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، تر: أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1982م.

42.المساري محمد العربي ، محمد بن عبد الكريم الخطابي من القبيلة إلى الوطن، ط: 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2011.

43.ملحس راشد صالح، سيرة الأمير عبد الكريم الخطابي بطل الريف ورئيس جمهوريتها، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1397هـ.

44.ابن منصور عبد الوهاب ، قبائل المغرب، ج1،المطبعة الملكية، الرباط،.1388هـ /1968م.

45.ابن منصور عبد الوهاب ، مشكلة الحماية القنصلية من نشأتها إلى مؤتمر مدريد 1880، المطبعة الملكية، الرباط، 1985.

46.المنوني محمد ، مظاهر يقظة المغرب الحديث، ط1، ج2، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط،1405هـ/1985م.

47.يحيي جلال ، أعلام العرب، دار الكتاب العربية للطباعة والنشر، مصر، 1968.

48.يونس خالد الخالدي، أسباب النصر والتمكين لدولة الموحدين في عهد المنصور يعقوب بن يوسف الموحدي (580 – 595 هـ / 1184 – 1199 م)، الجامعة الإسلامية، غزة، أغسطس 2017.

ب. المجلات:

49.أدرداك عماد، قبائل "صنهاجة أسراير" بالريف: التسمية والأصول"، مجلة تيدغين للأبحاث الأمازيغية والتنمية، ع: 3، 1435هـ / 2014م

50.اقسقوس محمد، النظام الجبائي في المغرب نهاية القرن 13هـ / 19م وبداية القرن 14هـ / 20م: حالة الزكاة والترتيب، مجلة عصور، مج: 19، ع: 7،كلية الآداب ابن زهر، أكادير، جوان 2020م.

51.أنجا حنان، "دور مدينة تطوان في الإصلاح العسكري"، مجلة المعرفة، ع: 6، يونيو 2024م.

52.بالعربي نور الدين، "معركة إيسلي وانعكاساتها على المغرب الأقصى ومقاومة الأمير"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج: 5، ع: 12، جامعة خميس مليانة، ديسمبر 2017م.

53.بطراوي مصطفى، "الامتيازات الأوروبية في المغرب الأقصى: ظهورها وتطورها خلال القرنين 18 و19م"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج: 5، ع: 12، ديسمبر 2017م.

54.بلحاج هواري، ثورات الربيع العربي: أسبابها ونتائجها، مجلة الدراسات الحقوقية، م ج: 9، ع: 2، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة سعيدة، ديسمبر 2022م.

55.بلحاج هواري، ثورات الربيع العربي: أسبابها ونتائجها، مجلة الدراسات الحقوقية، م ج: 9، ع: 2، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة سعيدة، ديسمبر 2022.

56.البودالي محمد وقنون حياة، "الشريف أحمد الريسوني ونشاطه السياسي في منطقة جبالة (1900–1925من خلال بعض آراء المؤرخين والكتاب)، مجلة آفاق فكرية، مج: 11،ع:2، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، ديسمبر 2023م.

57.بياض الطيب، "الحماية القنصلية أداة للتغلغل الأجنبي في المغرب: بلاد الشاوية أنموذجاً"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية،ع:2 ،كلية الآداب، الدار البيضاء.

58.الجعفري مبارك، حماد ونور الدين، "أضواء على حركة التأليف في حاضرة السمارة: آثار الشيخ أحمد الهيبة نموذجاً (1335هـ / 1919م)"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع: 17، مختبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا.

59.الجعفري نبيلة ، دور الإعلام الجديد، في انتفاضات الشعوب العربية شبكات التواصل الاجتماعي أنموذجا، جامعة أم البواقي، الجزائر.

60.حجلي الطبيب، "مقاومة المغرب للاستعمار بين الفعل السياسي والعمل المسلح جدلية القطيعة والاستمرارية"، مدارات تاريخية،دورية دولية محكمة ربع سنوية، مج:2، ع: 5،مارس 2020م.

61. حمان عبد الحفيظ، طريق طنجة تطوان في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، سطور، مج: 08، ع: 16، يوليو 2022.

62.حسين موسى هدى، حركة بوحمارة وأثرها في تاريخ المغرب الأقصى (1902–1902)، مجلة كلية التربية الأساسية،مج: 24، ع: 100، الجامعة المستنصرية،كلية التربية، 2018م.

63.الخديمي علال، مقاومة التدخل الأجنبي في الشاوية وجبال الأطلس، المناهل، ع: 38.

64.خورشيد سراب جبار، "العلاقات المغربية الإسبانية والتدخل الأمريكي (قضايا شائكة)"، المجلة الأكاديمية للبحوث القانونية والسياسية،مج: 6، ع:2،لجامعة المستنصرية، العراق، 2002م.

65.دادي دراية، احتلال مدينتي وجدة والدار البيضاء سنة 1907 دراسة مقارنة، أعمال الحلقة الدراسية: الدار البيضاء في مائة سنة 1907 – 2007، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، 2010.

66.زائر بوعبيدة، المقاربة السوسيو–مجالية ودورها في دراسة التحولات بالمجالات الجغرافية الأطلنطية: حالة الشاوية السفلى بالمغرب، مجلة روت للعلوم التربوية والاجتماعية، مج:، جامعة الحسن الثاني، 2019م.

67.سباغنة ثامر عبد الغاني وعواد عبد السلام ، المقاومة الشعبية قرية بيتا نموذجا، التجربة وسبل الاستفادة منها وتعميمها. مركز الزيتونة للدراسات والاستشراق.

68.الشرقي بنت عبد الرحمن منيرة، "المنصور بن أبي عامر بين الهدم والبناء (336–392هـ / 976–1002م)"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية،مج: 6، ع:2، جامعة الملك سعود، رجب 1437هـ.

69.طويهري نبيل، "الحركة الريسونية شمال المغرب نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين"، دورية كان التاريخية،السنة الحادية عشر،، ع: 39، مارس 2018م.

70.العياطي مصطفى ، التربة وأنواع الأراضي من خلال اللغة التقنية الفلاحية لقبيلة عبده المغربية، مجلة المعرفة، ع13، مختبر المغرب والحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش،2024م.

71.القطعاني عبد العزيز فادية، "الحركة الوطنية المغربية 1912–1937"، المجلة الجامعة، مج: 1، ع: 16، فبراير 2014م.

72.كموني عبد الخالق، "حيثيات فرض الحماية الفرنسية على المغرب والموقف الرسمي منها"، مدارات تاريخية، مج:1، ع: 5،، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، مارس 2020م.

73.مجدوب مساوي، "جوانب من استراتيجية الجنرال ليوطي بالجنوب الغربي الجزائري"، مجلة متون، جامعة الدكتور الطاهر مولاي، الجزائر سعيدة، مج: 14، ع: 1، فيفري 2022.

74.محمد الحسن محمد، السيمات الجيومورفولوجية لأشكال تضاريس جرانيت في أسوان، مجلة كلية آداب الجامعة، مج: 14، ع. 1، يناير 2022م.

75.منوغرافية، جهة الشاوية ورديغة، المندوبية السامية للتخطيط، المديرية الجهوية لسطات، المملكة المغربية، 2009،.

ت. الملتقيات والندوات:

76.بو جميل محمد ، مقاومة الشاوية ضد الاحتلال الفرنسي، تاريخ وفنون الشاوية، الملتقى الثاني لفنون الشاوية، وزارة الثقافة المملكة المغربية، سطات، 1990.

77.الخديمي علال، مقاومة قبائل زعير للتدخل الفرنسي 1906–1912م، ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار 1904 – 1955 الجذور والتحليلات، أعمال الندوة العلمية المنعقدة أيام 13 – 14 – 15 نوفمبر 1991، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن الزهر أكادير، 1997م.

78.الفلاح العلوي محمد، ملاحظات حول المقاومة المسلحة بين فرض الحماية واستقلال المغرب، ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار 1904 – 1955 الجذور والتحليلات،

أعمال الندوة العلمية المنعقدة أيام 13 – 14 – 15 نوفمبر 1991، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن الزهر أكادير، 1997م.

79.الملحوني عبد الرحمان ، الشاوية والفن الملحون تحليل قصيدة: "الدرر البهية في مدح رجال الشاوية"، تاريخ وفنون الشاوية، الملتقى الثاني لفنون الشاوية، وزارة الثقافة المملكة المغربية، سطات، 1990.

ج. الموسوعات:

80.عجيل أمل ، قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم(ليبيا – السودان – المغرب)، مج: 19–1998،20–1999م.

81.كنون عبد الله، محمد بن عبد الكريم الخطابي،موسوعة مشاهير رجال العرب، ط:2، مج:5، دار الكتاب المصري، بيروت،1994م.

ح. الرسائل الجامعية:

82.السالك بوشعيب، المناخ ودينامية السطح وعلاقتها بالتنمية المستدامة، منطقة مليلة نموذجا، مقاربة بتقنيات الاستشعار البعدي ونظم المعلومات الجغرافية (SIG)، أطروحة دكتوراه في الجغرافية المناخية، مختبر المجال، مركز الدراسات في الدكتوراه: المجال، المجتمع والثقافة، جامعة حسن الثاني، المحمدية، 2014–2015.

83. Der Dekan : G. huler, Die Marokko- Konferenz algeirar1906 inaugural, dissertation, hohen philosophischen fakultat universitat bern, jakoh bretxhger, zurich, 1913.

خ. المطبوعة البيداغوجية:

84.العمري عصماني، تاريخ وأثر المغرب القديم، مطبوعة بيداغوجية خاصة بتدريس طلبة السنة الثانية آثار التاريخ، جامعة قسنطينة 2.

الفهارس العامة

أ. فهرس الأعلام

ب. فهرس الأماكن والبلدان

ج. فهرس الموضوعات

فهرس الأعلام

أ
أبو بكر بن بوزيد: 61-62
أحمد بن منصور: 75
أحمد الريح: 63
أحمد الهيبة: 102
آبا حمد: 33-43-48-51
أحمد الريسوني: 46-48-49
أوليفي: 66
أحمد بن محمد: 74
ب
بو حمارة: 34-46-47-83
البوعزاوي: 50-71-77-86
بوشرون: 77-78
بول بولهو: 74
برولارد: 70-72-73
بروفال: 69
بلان: 70
بنيزة: 76
بروفوت: 70
بوتكور: 72
بلقاسم النكادي: 102
ت
تروبان: 73-74
ج
جعفر بن علي: 19
ح
حسان بن أبي الصبيحي: 17-18
حسن الأول: 21-33-38-42-50-51
د

ديشيني: 21
داماد: ج-71-72-73-75-76-77-78-79-86—90-92-111
درود: ج-60-67-68-70-79-86-87-89-90-111
ر
راشيد المولى: 71
رينيو: 36-55
روزفلت: 49
س
سان أوليو: 66
سلفستر: 77-105
ش
شربوني: 52
شريف أمزيان: 103
ص
صالح بن طريف بن شمون: 18
ع
عبد الله بن الكندور: 17-18
عبد العزيز: خ-34-35-40-42-43-44-46-53-55-79-82-83-84-94-95-96-97-98-108-110
عبد الحفيظ: خ-42-77-78-82-83-84-85-86-88-94-95-96-97-98-99-100-101-108-110
عمر السكتاني: 71-75
عسو أبسلام: 102
عبد الكريم الأب: 104
ف
فارلي: 49
ق
القريشي بن الرغاي: 72

ك
كارل فيكه: 92
ل
ليوطي: 74-76
لوبي: 77
م
موسى أبي السعيد: 17
منصور بن أبي عامر: 19
محمد بن الفتح: 19
ماء العينين: 35-50-65
محمد بن عبد الرحمان: 21-38
محمد العربي: 62
محمد الطريس: 48
موشان: 52-53
محمد بن عبد الله بونوالة: 76
محمد ابن العربي مذكوري: 79
محمد ابن عبد الكريم الخطابي: 101-102-104-105-106-107-108-112
موحا أوحمو الزياني: 102
مونيه: 100
محمد ابن عبد الله: 28
و
ولتر هاريس: 49
ي
يعقوب بن عبد الحق: 17-18-20
يوسف المولى: 101

فهرس الأماكن والبلدان

أ
أبي الرقراق: 11-12
أزمور: 16
أزيلال: 11
إسبانيا: أ-29-30-31-33-34-36-37-39-41-48-104-105-106-111
الأعشاش: 78-87
ألمانيا: 36-38-40-82-83-91-93
أم الربيع: 11-13-15-17
أمريكا: 38
إنجلترا: 35-37-38
الأندلس: 18-20
أولاد أبورزك: 64
أولاد البوزيري: 63-65-67-77
أولاد جرمون: 20
أولاد مطاع: 20
أولاد حريز: 22-60-64-65-71-72
أولاد زيان: 71
أولاد سعيد: 63-72-73-77
أولاد سيدي بن داوود: 63-65-77
أولاد زيان: 63
ب
باريس: 68-70
برازيل: 38
برتغال: 29-30-38

برشيد: 15-16-71-72-73
برغيث: 78
بريطانيا: 32-36
بلاد الهبط:20
بلاد شنقيط: 51
بلجيكا: 38
بنو جابر: 20
بني رورو ياغل: 103
بني مالك: 20
بني مسكين: 68
بورغواطة: 17
بوزنيقة: 19-71-73
بوسكور: 15
بئر الحديد: 15
ت
تادارت: 69
تافيلالت: 12-68
تونس: 21
تيطوان: 29-30-33-46
تيط مليل: 69
تازة: 11
تامسنا: 12-13-17
تادلة: 12-14-87
تانسفيت: 15
ح

الحوز: 46-51-96
الحاج بوعزة: 69
ج
الجزائر: 32
الجزيرة الخضراء: ج-38-51-52-55-60-95
جشم: 90
د
الدار البيضاء: ب-ج-ح-خ-د-13-19-42-50-51-53-55-56-57-58-61-63-66-68-73-83-84-85-88-89-90-91-92-99-111
دكالة: 12-87
دوار القصيبات: 72
ر
الرباط: -11-17-19-62-84
الرحامنة: 87
روسيا: 38
ز
زعير: 11-79-87
زمور: 11
زناتة: 17-19-22-71-87-89
س
سبتة: 32-33-98
سلجمانة: 20
سوس: 46
السويد: 19-29-38
سيدي إبراهيم: 70

سطات: 71-73-74-77
سيدي كامل: 78
ش
الشاوية: أ-ب-ت-ج-ح-خ-12-13-14-17-18-19-21-22-26-28-30-42-43-50-51-56-58-60-63-64-65-69-71-72-75-76-83-84-85-86-89-90-91-94-99-108
شالة: 18
ص
صنهاجة: 20
صويرة: 49
ط
طنجة: 36-45-46-47-53-56
ع
عين مكون: 72:
عبده: 11
ف
فاس: 12-18-51-53-78-96
فرنسا: ث-خ-29-12-32-34-35-36-37-38-40-41-48-52-53-54-55-52-62-66-70-82-91-100-104-106-111-112
فضالة: 17
ق
قنيطرة: 15
قلعة السراغنة: 68
م
محمدية: 15-19

مدريد: 34-39-40
مديونة: 15-22-63-71
المذاكرة: 60-65-72-73-75-76-77-85-87-89
مراكش: 12-43-53-55-84-94-96-102
ميزاب: 19
مصر: 37
مصمودة: 17
مغراوة: 18
مزامرة: 62-72-77
المغرب: أ-ب-ت-ج-12-14-17-18-20-21-28-29-30-31-32-33-34-35-36-37-38-39-40-41-42-48-49-51-53-54-56-59-63-97-99-101-103-106-107-110
المغرب الأوسط: 19
مكناس: 12-96
مليلة: 32-98
ن
نرويج: 36
هـ
الهري: 102
هولندا: 38
ورديغة: 21
وجدة: 55-56-66-83
وادي العطش: 78

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان	
إهداء	
قائمة المختصرات	
مقدمة	أ
مدخل: الإطار الجغرافي والبشري لبلاد الشاوية	
المبحث الأول: جغرافية بلاد الشاوية	10
أولا: الموقع الجغرافي للمنطقة	10
ثانيا: المميزات الجغرافية	12
المبحث الثاني: التكوين البشري لبلاد الشاوية	14
أولا: أصلا التسمية والتركيبة البشرية	14
ثانيا: لمحة موجزة عن تاريخ منطقة الشاوية	16
الفصل الأول: تحليل ظروف وأسباب انتفاضة الشاوية	
المبحث الأول:خطورة الامتيازات الأجنبية على السيادة المغربية	24
أولا :الحماية القنصلية والمخالطات على مستوى منطقة الشاوية	24
ثانيا: معاهدات واتفاقيات المغرب مع الدول الأوروبية خلال القرن التاسع عشر	28
المبحث الثاني: قرارات مؤتمر الجزيرة الخضراء وانعكاساتها على الوضع العام في المنطقة	33
أولا: ظروف انعقاد المؤتمر والمشاركين فيه	34
ثانيا : قرارات المؤتمر وانعكاساتها على الوضع الداخلي في المغرب	36
المبحث الثالث: المستجدات الاقتصادية والسياسية بالمغرب وانعكاساتها على	38

المغاربة عموما وساكنة الشاوية بشكل خاص	
أولا: تدهور الأوضاع المعيشية بالشاوية	38
ثانيا: انتشار حركات التمرد	42
ثالثا: كثرة الاغتيالات واحتلال الدار البيضاء	49
الفصل الثاني: المقاومة المسلحة في بلاد الشاوية ضد التوسع الفرنسي (1907-1908)	
المبحث الأول: انتفاضة قبائل الشاوية في عهد الجنرال درود1907م	58
أولا: المسار الأول للمقاومة الشعبية	58
1. التنظيم الأول للانتفاضة	59
2. التعبئة الشعبية	61
ثانيا: انتفاضات صيف 1907م	63
1. قصف الدار البيضاء	64
2. رد قبائل الشاوية على هذا القصف	65
المبحث الثاني: تطور الانتفاضة في عهد الجنرال داماد1908م	69
أولا: سياسة داماد Damad لإجهاض العمل المسلح	69
1. إستراتجية داماد الأولى	69
2. تغيير داماد لخططه العسكرية	72
ثانيا: تطور أحداث الانتفاضة نهاية شهر مارس 1908م	74
1- تثبيت الاحتلال	74
2- معارك الغابة	76
الفصل الثالث: المواقف المختلفة من انتفاضة الشاوية وأبعادها	
المبحث الأول: ردود الفعل المختلفة من الانتفاضة	81

أولا: ردود فعل الساكنة	81
1. موقف المخزن	81
2. مواقف الشاوية ومن معهم في زمن المقاومة	84
ثانيا: المواقف الخارجية (فرنسا وألمانيا أنموذجا)	87
1: رد فعل فرنسا من مقاومة الشاوية للتوغل والتوسع	88
2. موقف ألمانيا من السياسة التوسعية الفرنسية	89
المبحث الثاني: النتائج المترتبة عن الانتفاضة	91
أولا: نتائج الانتفاضة على المستوى القريب	91
1. الصراع بين عبد العزيز وعبد الحفيظ	94
2. تولي عبد الحفيظ الحكم والصعوبات التي واجهها	95
ثانيا: انعكاسات الانتفاضة على المدى البعيد	96
1. حصار فاس وأزمة أغادير 1911م: بين التدخل الفرنسي وتفاقم الأزمة المغربية	96
2. فرض الحماية الفرنسية على المغرب سنة 1912م	98
3. المقاومات الشعبية في المغرب (مقاومة محمد بن عبد الكريم الخطابي أنموذجا)	100
الخاتمة	109
الملاحق	113
قائمة الببليوغرافيا	123
قائمة الفهارس	
فهارس الأعلام	133
فهارس الأماكن والبلدان	137

فهارس الموضوعات	143

ملخص الدراسة:

تُعتبر انتفاضة الشاوية عام 1907 من بين أبرز صور المقاومة الشعبية في المغرب ضد التوسع الاستعماري الفرنسي. فقد جاءت هذه الانتفاضة نتيجة للتدهور الملحوظ في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، الذي تمثل في انتشار المجاعات والأوبئة، وفرض ضرائب قاسية مثل ضريبة الترتيب. كما أضيف إلى ذلك أيضا منح امتيازات واسعة للأجانب من خلال نظام الحماية القنصلية، مما أدى إلى إضعاف سيادة الدولة. هذا فيما يخص الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، أما سياسيا فانتشار الفساد والصراع على السلطة واحتقار السلطة المحلية (المخزن) لأهالي الشاوية وتجاهل معاناتهم سارع في إشعال فتيل الغضب الشعبي. إذ شكّلت هذه الانتفاضة منطلقًا لوعي وطني مبكر وكانت تمهيدًا لبداية الاحتلال الفرنسي وفرض نظام الحماية عام 1912. وبالرغم من أنها – الانتفاضة– لم تتمكن من توقيف التوغل الفرنسي في المغرب عموما ومنطقة الشاوية على وجه الخصوص إلا أنها ظلت رمزا للمقاومة والرفض الشعبي للهيمنة الأجنبية وظلم الداخلي.

الكلمات المفتاحية: الشاوية، المغرب الأقصى، الاستعمار الفرنسي، انتفاضة 1907–1908م، الدار البيضاء، المقاومة الشعبية، ألمانيا، المخزن.

Study Summary

The Chaouia Uprising of 1907 is considered one of the most prominent examples of popular resistance in Morocco against French colonial expansion. This uprising emerged as a result of the significant deterioration in economic and social conditions, manifested in widespread famine, epidemics, and the imposition of harsh taxes such as the tirzib tax. Additionally, the granting of extensive privileges to foreigners through the consular protection system weakened the sovereignty of the state.

On the political level, the spread of corruption, power struggles, and the local authority's (Makhzen's) disregard and contempt for the people of Chaouia further fueled public anger. The uprising marked an early awakening of national consciousness and served as a prelude to the French occupation and the establishment of the Protectorate in 1912.

Although the uprising did not succeed in halting French advancement in Morocco in general—and in the Chaouia region in particular—it remained a symbol of resistance and popular rejection of both foreign domination and internal oppression.

Keywords : Chaouia, Morocco, French colonialism, 1907-1908 uprising, Casablanca, popular resistance, Germany, Makhzen.